

## صفحات من صلات التهاميين والسرويين مع غيرهم قديماً وحديثاً ، داخلياً وخارجياً

منذ فجر الإسلام حتى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (\*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(\*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس

(الطبعة الاولى)(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء

الثالث والعشرون) ، ص ص ٨٧-١٦٦.

## القسم الثاني

صفحات من صلات التهاميين  
والسرويين مع غيرهم قديما  
وحديثا، داخليا وخارجيا،  
منذ فجر الإسلام حتى عام  
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

## القسم الثاني

صفحات من صلات التهاميين والسرويين مع غيرهم قديماً وحديثاً،  
داخلياً وخارجياً، منذ فجر الإسلام حتى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) <sup>(١)</sup>

الصفحة	الموضوع	م
٨٨	مقدمة .	أولاً:
٩٠	دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام .	ثانياً:
١١٣	صور من صلات السرويين والتهاميين بغيرهم من عام (١٢٠٠-١٣٤٠هـ/١٨٧٥-١٩٢١م).	ثالثاً:
١٢٤	لمحات من علاقات السرويين والتهاميين مع غيرهم من عام (١٢٠٠-١٣٤٠هـ/١٨٧٥-١٩٢١م).	رابعاً:
١٣٩	وقفات مع صلات التهاميين والسرويين مع غيرهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/١٩٢١-٢٠٢١م).	خامساً:
١٦٥	خلاصة آراء وتعليقات.	سادساً:

### أولاً: مقدمة:

الكتابة في هذا الموضوع يحتاج إلى عشرات البحوث العلمية، لأنه يشمل بلاد واسعة بين حواضر الحجاز واليمن، ويغطي فترة زمنية تقدر بأربعة عشر قرن ونصف. وقد يقول قائل إن هذا العنوان يخرج عن طرائق المناهج العلمية المعروفة، فهو موضوع فضفاض، والواجب أن يدرس في بحوث متفرقة مع مراعاة محدودية الزمان والمكان لكل عنوان <sup>(٢)</sup>.

(١) قدمت هذه الدراسة في محاضرة على مسرح كلية التربية / فرع جامعة الملك سعود بأبها، ضمن أنشطة الجامعة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، وذلك يوم الاثنين الموافق ١٤١٥/١٠/١٩هـ

(٢) أتفق مع من يقول بهذا القول، لكنني حرصت أن أطرح موضوعاً كبيراً يستحق أن يخدم من قبل المؤرخين والباحثين، لأنه يدور في فلك زمان ومكان غير مخدوم في ميدان الدراسات والبحوث العلمية، وقد يأتي في قادم الأيام من يجد جزئيات مهمة تصلح أن تكون عناوين مستقلة لبعض الكتب والبحوث العلمية.

والدراسة تركز على أهل تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيط، والحديثة، والمعاصرة، فتوثق صفحات من تاريخهم السياسي والحضاري مع ذكر شيء من علاقاتهم وصلاتهم بغيرهم من الشعوب داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ولا أدعي أنني استوفيت دراسة هذا الموضوع، ورجعت إلى ما دون عنهم في المصادر والمراجع المختلفة، أو جمعت الأخبار والروايات الحديثة والمعاصرة التي حُفظت وعرفت شيئاً من حياتهم العامة وتعاملاتهم مع غيرهم<sup>(١)</sup>.

والبحث يناقش أربعة محاور رئيسية، هي (١) دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة<sup>(٢)</sup>. (٢) صور من صلات السرويين والتهاميين مع غيرهم (ق٢ق١٢هـ/ ق٨- ق١٨م)<sup>(٣)</sup>. (٣) لمحات من علاقات السرويين والتهاميين بغيرهم من عام (١٢٠٠- ١٣٤٠هـ/١٨٧٥- ١٩٢١م)<sup>(٤)</sup>. (٤) وقفات مع صلات التهاميين والسرويين مع غيرهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها (١٣٤٠- ١٤٤٢هـ/١٩٢١- ٢٠٢١م)<sup>(٥)</sup>.

(١) إن التهاميين والسرويين قبائل وشعوب لها تاريخ قديم، استوطنت بلادها منذ العصور القديمة، وساهمت في بناء الحضارة العربية والإسلامية ليس في بلادها أو داخل شبه الجزيرة العربية، وإنما اتصلوا بأقوام وشعوب كثيرة على سطح الكرة الأرضية، ويستحقون أن تقرر لهم دراسات علمية مطولة مع التركيز على صلاتهم وإسهاماتهم التاريخية داخل بلادهم وخارجها.

(٢) حصرت حديثي في هذا المحور على لمحات من مشاركاتهم السياسية والحربية في فترات الفتوحات الإسلامية المبكرة. والحقيقة أن لهم إسهامات كثيرة في نشر الإسلام داخل شبه الجزيرة العربية وفي جبهات الجهاد بالشام، وفارس، وبلاد ما وراء النهر حتى الهند والصين، ومصر وبلاد المغرب والأندلس. أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخهم ويستكمل ما لم أستطع إنجازه.

(٣) هذا الموضوع كبير جداً، ومن يستقرئ تاريخ أهل تهامة والسراة في الداخل والخارج خلال هذه الفترة يجده شبه مفقود، وما ذكرته في هذا البحث شذرات يسيرة، وقد يأتي بعدي من يدرس تاريخهم ويستكمل ما لم أستطع إنجازه.

(٤) إن البحث عن أهل تهامة والسراة في هذه الفترة أسهل من العصور التي سبقت، لأن هناك الكثير من المصادر والوثائق التي فصلت الحديث السياسي وشيء من الحضاري، وما أشرت إليه فقط جزئيات عامة، وموضوعات مهمة يجب بحثها ودراستها في أعمال أكاديمية عميقة.

(٥) هذه الفترة أخصب الأزمنة التاريخية التي دون عنها معلومات وتفصيلات كثيرة، لأن بلاد تهامة والسراة صارت جزء بسيط من دولة عصرية حديثة لها علاقات متشعبة وكثيرة مع جميع دول وشعوب الكرة الأرضية، وهي وإن كانت خلال فترة حديثة ومعاصرة، لكنها تستحق الدراسة والرعاية البحثية التوثيقية، أمل أن نرى من طلابنا المؤرخين والباحثين الجادين من يعكف على دراستها بطريق علمية رصينة.

## ثانياً: دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام<sup>(١)</sup>.

م	الموضوع	الصفحة
١-	تمهيد.	٩٠
٢-	دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام .	٩٣
	أ. دورهم في الجبهة الشامية.	٩٣
	ب. دورهم في الجبهة الفارسية.	٩٩
	ج. دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس.	١١٠
٣-	خلاصة القول .	١١٢

### ١- تمهيد:

كان المجتمع العربي قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية، يعاني من الفرقة والتمزق بسبب الصراعات القبلية، الأمر الذي أدى إلى انعدام الأمن في أوساطه، فحلت الفوضى محل النظام، والخوف محل الاطمئنان، وبقي الأمر على هذا الحال، حتى جاء الرسول، عليه السلام، وبدأ يدعو الناس لعبادة الواحد القهار، ونبذ الشرك والأوثان، وترك الرذائل والتحلي بالفضائل . كل هذا جعل أهل مكة، وخاصة القرشيين منهم، يحاربونه بكل ما أوتوا من قوة، ولكن صبره، عليه السلام، وقوة إيمانه جعلته يتغلب عليهم، وازداد دخول الناس في الدين الجديد عن قناعة وإيمان . وكما رأى الرسول (ﷺ)، استحالة استمرار الدعوة في مكة المكرمة، هاجر إلى المدينة المنورة، وأقام فيها مسجده الشريف، ومنها أخذ يعد الغزوات والسرايا لتوسيع رقعة دولته، ونشر الإسلام، وعقد التحالف مع القبائل المجاورة ضد مشركي مكة ومن تبعهم . وتمكن الرسول (ﷺ) بعمله المتواصل من فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة، واتخذ من المدينة المنورة مقراً له، وأخذ الناس يدخلون في دين الله زرافات ووحدانا، وتتابعت الوفود على المدينة المنورة معلنة لرسول الله (ﷺ) إسلامها<sup>(٢)</sup> .

(١) قدمت هذه الدراسة في محاضرة على مسرح كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها، ضمن أنشطة الجامعة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، بتاريخ يوم الإثنين (١٩/١٠/١٤١٥هـ).

(٢) أفاضت كتب السير في الحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول (ﷺ) من أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكان منهم بعض الوفود التي قدمت من بلاد تهامة والسراة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، وفد ثماله،

البحث يقتصر على دراسة المنطقة الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والطائف، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى مثل : صنعاء وصعدة وغيرها، وقد أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة)<sup>(١)</sup>، ونظراً لكثافتها السكانية، فقد شاركت مشاركة فعالة في الأحداث الجسام التي حدثت للدولة الإسلامية، منذ ظهور الدعوة إلى تكوين الدولة، إلى حروب الردة<sup>(٢)</sup>، إلى فتح العراق وفارس والشام . وقد حباها الله بتضاريس متنوعة، فهناك الجبال الشاهقة، والوهاد العميقة، والهضاب المتتابعة، والأمطار الموسمية التي تصب على المنطقة كأفواه القرب، فتسيل الأنهار، وربما أدى الأمر إلى فيضان - خاصة - في المناطق الجبلية العالية المتصلة بالوهاد المنخفضة، مما دعا سكان الجبال إلى حفر الآبار وبناء السدود، والاهتمام بالزراعة على مختلف أنواعها إلى جانب الرعي ليكون لديهم اكتفاء ذاتي في معاشهم لصعوبة مسالك جبالهم، مما أدى إلى صعوبة الاختلاط . ومن هنا كان حظ بلاد تهامة والسراة في الكتابات - وخاصة - التاريخية نادراً، رغم موقعها الجغرافي الهام حيث تقع بالقرب من مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين تعدان من أهم حواضر الحجاز، وتتصل بالحواضر الكبرى لليمن، هذا الموقع أكسبها أهمية تجارية ودينية، أما التجارية فتعود إلى قربها من البيت العتيق وما له من

وقد بجيلة، وقد زهران، وقد باهلة، وقد دوس، وقد سلامان، وقد خثعم، وقد بارق، وقد الأزد، وقد زبيد، وغير ذلك من الوفود التي قدمت من أجزاء عديدة من بلاد اليمن، وللمزيد من التفصيل، انظر : عبد الملك بن هشام • السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم، د.ت.)، ج٤، ص ١٨٢ وما بعدها، محمد بن سعد • الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ج١، ص ٩١ وما بعدها، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم • زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ج٢، ص ٦٠٠ وما بعدها

(١) لم يكن اسم (تهامة والسراة) الذي استخدمناه حديث الاستخدام، وإنما هو قديم الذكر في مصادر التراث الإسلامي المبكرة، حيث أطلق على الجبال والمرتفعات الممتدة من الطائف إلى صنعاء اسم السراة، أو السروات، وأحياناً يطلق عليها (الحجاز) وذلك لأنها تحجز بين البوادي والنجود في الشرق وبين الأغوار والسهول التهامية في الغرب . أما تهامة فعرفت أيضاً بأنها المنطقة المنخفضة التي تقع غرب بلاد السراة، وتمتد إلى شواطئ البحر الأحمر . ولزيد من المعلومات، انظر : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني • صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٢٦٠-٢٦٨، عبد الله بن عبد العزيز البكري • معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) مج ١، ج١، ص ٨-١٢، شهاب الدين ياقوت الحموي • معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ج٢، ص ٦٢-٦٤، ج٢، ص ٢٠٤-٢٠٤، محمد عبد المنعم الحميري • كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٧٥م) ص ١٤١-١٤٢، ١٨٨-١٨٩، ٣١١ .

(٢) ما قام به سكان أهل تهامة والسراة من أعمال سياسية قبل الفتح الإسلامية، وبخاصة في عهد الرسالة، وفي فترة قيام حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، انظر تفصيلات أكثر عن هذه الأحداث في مقالة منشورة بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد (٣٨)، س (١٩٩١-١٩٩٥م)، ص ٤١ وما بعدها .

أهمية عبر العصور<sup>(١)</sup> . لذا كانت مكة المكرمة مركز اهتمام سكان المنطقة يرصدون ما يدور فيها فتراهم أول من هب لنجدة الإسلام، بوفودهم على الرسول الكريم (ﷺ) معلنين إسلامهم وإسلام قبائلهم، وهم أول من شارك بأعداد غفيرة في حروب الردة، وفي الفتوحات الإسلامية الكبرى . ورغم هذا، لم ينالوا حظهم في التاريخ مثلما نال غيرهم من سكان المناطق الأخرى التي لم تزد مشاركتهم عنهم، ولعل هذا راجع إلى ما ذكر أنفا من صعوبة التضاريس، ووعورة المسالك، مما جعل الطارقين لها من أرباب الأقاليم قليلين .

لذا رأينا من الواجب علينا أن نسهم - بما استطعنا - في إبراز شخصيتها التاريخية، وما قامت به من أدوار عبر الحوادث التي حدثت في الجزيرة، وفاء منا لها بإعطائها حقها، وعدم غبنها، خاصة من أبنائها الذين وجب عليهم أن يقوموا بدراسة المنطقة من جميع الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية، لزاما منهم في بيان دورها في المسار التاريخي للدولة الإسلامية . وما هذا البحث إلا لبنة بناء في الصرح التاريخي للمنطقة، راجين من الله السداد .

لهذا كان أهل تهامة والسراة من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم، وبعد عودتهم لأوطانهم أخذوا يمارسون الإسلام فيها، ويعملون في المحافظة عليه والولاء له تحت راية الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة . وعندما حدثت الردة، كان معظمهم قد بقي على إسلامه، باستثناء أفراد من قبائل الأزدي، ومذحج، وبارق، وختعم، ودوس، وبجيلية، الذين ارتدوا عن الإسلام، عند موت الرسول عليه السلام، لكن معظمهم أعلنوا ولاءهم للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، بل وانضموا إلى الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين في بلاد تهامة والسراة، وفي حواضر اليمن الكبرى وما حولها<sup>(٢)</sup> . وعندما انتهى أبو بكر من حروب الردة في الجزيرة، بدأ على

(١) كان رجال من أهل تهامة والسراة يأتون إلى مكة المكرمة للحج، وللتجارة، ولأعمال اقتصادية واجتماعية أخرى، وأكبر دليل على ذلك إسلام الطفيل بن عمرو والدوسي وضمان الأزدي في فترة الدعوة المكية، وكتب السيرة والتراجم قد حفظت لنا قصة ارتيادهما مكة المكرمة، ثم مقابلهما للرسول (ﷺ) وإسلامهما . انظر: ابن هشام، السيرة، ٢، ص ٢١-٢٥، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري (حلب: دار الوعي بحلب، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ١، ص ٦٠٠-٦٠٥، عز الدين أبو الحسن ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت: دار أحياء التراث العربي، د.ت)، ٣، ص ٤١-٤٢ .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق إلى بلاد تهامة والسراة، في أثناء حروب الردة، انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ج ٢، ص ٢٣٠ وما بعدها، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) ج ٢، ص ٦٤ - ٦٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ٧٤٠ - ٧٤٢ .

الفور يستنفر المسلمين ويعد العدة لتجهيز الجيوش لنشر الإسلام في المناطق المجاورة لها من بلاد الشام والعراق وفارس، حيث كانت الأولى تحت حكم الروم والأخرى تحت حكم الفرس .

## ٢- دور أهل تهامة والسراة في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة :

لبى السريوين والتهاميون من ضمن من استجاب من المسلمين للانخراط في جيوش الإسلام المجاهدة، ولكثرتهم كان عددهم بارزاً في الحملات التي خرجت لمقاتلة الفرس والروم على حد سواء، وخاصة في أمهات المعارك، معركة القادسية، ومعركة اليرموك . وسيدور البحث حول ثلاثة محاور (أ) دورهم في الجبهة الشامية (ب) دورهم في الجبهة الفارسية (ج) دورهم في التنظيم العسكري والقيادات العسكرية .

### أ- دورهم في الجبهة الشامية :

بعد استقرار الأوضاع في الجزيرة العربية بانتهاء حرب الردة، أصبحت البلاد جميعها تدين بالولاء والطاعة للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، الذي أعلن النفي العام للجهاد متبعاً سياسة الرسول (ﷺ) الحربية في استشارة كبار الصحابة على ما عزم عليه من حرب للبلاد الشامية<sup>(١)</sup> ثم قال لهم " ...اعلموا - يقصد الصحابة - أن رسول الله (ﷺ) كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، ألا وأني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فرسول الله (ﷺ) أنبأني بذلك قبل موته"<sup>(٢)</sup> . ونستشف من هذا القول أن الصديق كان حريصاً على تنفيذ رغبة الرسول عليه السلام، وهو الذي كان يقتضي أثره ويقتدي به وبعمله، ولهذا أفصح لصحابته عما يجول في خاطره، فقد وافقوه على ذلك من غير شك لأنهم كلهم، رضوان الله عليهم، كانوا يمثل حرص أبي بكر .

وعلى أثر ما قال الخليفة في تبيان ما هو عازم عليه أرسل جيشاً تجاه الشام بقيادة خالد بن سعيد بن العاصي وأمره بالإقامة في تيماء<sup>(٣)</sup> حتى يأتيه أمره، ثم استنفر

(١) أرسل الرسول (ﷺ) بعض السرايا إلى حدود بلاد الشام، بل ذهب هو على رأس بعض الغزوات التي وصلت إلى تبوك وما حولها . للمزيد من التفصيل، انظر . ابن هشام، السيرة، ج٤، ص ١٥٩ وما بعدها، ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص ٥٢٦ وما بعدها .

(٢) أبو عبد الله عمر الواقدي . فتوح الشام (بيروت : دار الجيل، د٠ ت) ج١، ص ٥ . انظر أيضاً، عبد الرحمن الشجاع اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر، ١٤٠٨هـ) ص ٢٧ وما بعدها .

(٣) تيماء : بلد في طرف شبه الجزيرة العربية من جهة بلاد الشام، وتقع على طريق الحاج المؤدية إلى دمشق، أنظر . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت . معجم البلدان، ج٢، ص ٦٧ .



الناس يحثهم على الجهاد<sup>(١)</sup> . ويشير البلاذري والواقدي إلى أن الخليفة انتدب أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين لجهاد الروم، ولكن بعد أن أدرك قلتهم وكثرة جحافل الروم قرر استنفار القبائل العربية، وبخاصة من كان يسكن في بلاد السراة وحواضر اليمن الكبرى<sup>(٢)</sup> . ويعزز الأزدي قول البلاذري والواقدي في استنفار الخليفة أهل تهامة والسراة، وبلاد اليمن بشكل عام، حيث أرسل لهم كتاباً مع أنس بن مالك قال فيه " ... أما بعد، فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينضروا خفافاً وثقالاً، وقال: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم، وقد استنفرتنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وعسكروا وخرجوا، وحسنت في ذلك نيتهم، وعظمت في الخير حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم، وإلى إحدى الحسنين إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يترك أهل عدواته حتى يدينوا بالحق، ويقروا بحكم الكتاب، أو يؤدوا الجزية، عن يد وهم صاغرون، حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، والسلام عليكم"<sup>(٣)</sup> .

وكتاب الخليفة أبي بكر لم يكن مرسلاً إلى قبيلة أو عشيرة بعينها، وإنما أرسله إلى كل القبائل والعشائر التي تقطن البلاد الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى، كصنعاء، وصعدة وغيرها، وقد أكد ذلك رسول الخليفة، أنس بن مالك، حيث وصف لنا رحلته إلى تلك البلاد، فقال: "لقد أتيت أهلها جناحاً جناحاً، وقبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر، وإذا فرغت من قراءته قلت، الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله - ثم يقول - بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد: فإنني رسول خليفة رسول الله ﷺ ورسول المسلمين إليكم، ألا وإنني قد تركتكم معسكرين، ليس يمنعهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم، رحمة الله عليكم أيها المسلمون"<sup>(٤)</sup> فلم يكن رد السامعين لما قرأه وقاله إلا أن قالوا: "نحن سائرون"<sup>(٥)</sup> .

(١) الطبري، جـ ٢، ص ٢٨٨، محمد عبد الله الأزدي . تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة: مطابع سجل العرب، ١٩٦٩م) ص ٢-٥ .

(٢) أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ١٢٨، الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٥-٦ .

(٣) الأزدي، ص ٨-٩ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٩، عبد الرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص ٢٤ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه .

وبدأت بعض القبائل والعشائر السروية تغادر بلادها في شبه مواكب عسكرية، مرتبة على شكل كتائب، الكتيبة تلو الأخرى، وليس بعيد أن لكل كتيبة رايتها ترمز بها إلى قبيلتها قدمت - وهي تحملها- على الخليفة الصديق في المدينة المنورة، وما أن سمع سكان المدينة بقدمهم، حتى خرجوا بزينتهم احتفاء بهم وتكريماً لقدمهم، ويبدو أن لهم مكانة خاصة في نفوس أهل المدينة أو علاقة مميزة، لأن الاستقبال بمثل هذا الحال لا يكون إلا لمن له مكان عند أهل المدينة، وكان من بين تلك العشائر والقبائل القادمة، قبائل حمير التي كان على رأسها يتقدم مواكبها ذو الكلاع الحميري، ثم تلتها كتائب من عشائر مذحج تحت زعامة قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، ثم تلتها كتائب من أزد السراة<sup>(١)</sup>، ولعل هذا التمييز ناتج من شهرة رؤسائهم ومعرفة الناس لهم، أو من رايات خاصة بكل قبيلة أو من الاثني معا .

وبعد استكمال وفود المجاهدين إلى المدينة، عين الخليفة عليهم عدداً من القادة، أمثال، يزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة بن الجراح، وشرحيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، وهذه الجيوش الأربعة توجهت إلى بلاد الشام، ووقعت عدة معارك بينها وبين الروم، أسفرت عن عدم قدرتها وحدها في مواجهة الروم، مما دعا الخليفة إلى أن يطلب من القائد خالد بن الوليد، أن يتوجه من عين التمر في العراق إلى الشام لمساعدة إخوانه هناك، وتم له ما أراد<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن السرويين كانوا كثيرون العدد في معركة اليرموك أو غيرها من المعارك الشامية، وفي هذا الصدد، يذكر الأزدي أن الخثعميين توجهوا إلى بلاد الشام وعلى رأسهم عبد الله بن ذي السهم الخثعمي وكان عددهم نحو ألف مجاهد<sup>(٣)</sup>، وهم رديف لجيش يزيد بن أبي سفيان الذاهب إلى دمشق والذي توفي

(١) لمزيد من التفصيل انظر ٠ البلاذري، ص ١٢٨، الأزدي، ص ٦٠٥ - ١٠، الواقدي، ج ١، ص ٧، ٨، ٩، ولمزيد من التوضيح عن مضارب أهم القبائل والعشائر في بلاد تهامة والسراة خلال العهود الإسلامية الأولى، فقد أرفقنا مع البحث خريطة توضح ذلك ٠ انظر الخارطة رقم (١) المرفقة في صفحات تالية.

(٢) لمزيد من المعلومات عن بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام انظر الأزدي، ص ١١ وما بعدها، الواقدي، ١، ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) الأزدي، ص ٢٥-٢٦، ويذكر أن ابن ذي السهم الخثعمي قدم على الخليفة أبي بكر الصديق في المدينة، ومعه نحو ألف مجاهد من قومه، فقال للخليفة: "إنا قد تركنا الديار والأموال والأصول، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا، ونحن نريد جهاد المشركين، فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا؟ نخلفهم عندك ونمضي؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمتهم علينا، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على ربنا؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه): سبحان الله يا معشر المسلمين، هل سمعتم ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر عن الأولاد والنساء مثل ذكر أخي خثعم؟ أما إنني أقسم لك يا أبا خثعم أنني لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت أن احتسب عيالهم عندي، وأسرحهم، وليس معهم من النساء والأولاد ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم، ولكنه قد مضى عظم الناس وذرائعهم، ولك بجماعة المسلمين أسوة، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجناتهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحب فاصحب" فلحق يزيد بن أبي سفيان وصحبه ٠ انظر، الأزدي، ص ٢٥-٢٦ .

فيها، وتولى القيادة من بعده أخوه معاوية بن أبي سفيان لأنه كان مساعداً له في حملته . كما زود الخليفة جيش المسلمين بعدد من المجاهدين الأبطال من قبائل همدان، ومراد وأزد شنوءة، ومعهم عدد من قبائل أخرى لا تقطن السراة، وبلغ عددهم جميعاً ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف مجاهد تحت قيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذين انضوا تحت لواء أبي عبيدة بن الجراح الذي توجه بجيشه صوب حمص<sup>(١)</sup> . ويبدو أن هذه الجحافل كانت تتوافد تباعاً قبل وقوع المعركة الكبرى (معركة اليرموك) ، وإذا كان الأمر كذلك، فمعنى هذا أنها وصلت قبل أن يتوجه خالد إلى الجبهة الشامية قادماً من العراق .

ومهما يكن من أمر فإن الواقدي يذكر عدداً من جموع السراة من مذحج، والأزد، والنخع ومن أهل مكة المكرمة بما يساوي تسعة آلاف رجل<sup>(٢)</sup>، وكان من بينهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وكلنا نعرف ما لهذه الشخصية من أثر في المعارك، لأنها شخصية حربية بارعة في تخطيطها وأسلوب قتالها وصبرها على القتال<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن وصول هذا المدد الذي كان فيه الزبيدي كان في النصف الأخير للمعركة<sup>(٤)</sup> . وعن حجم الإمدادات يشير الأزدي إلى أن عددهم بلغ ما بين الألف والألفين<sup>(٥)</sup> .

والتضحية هنا ليست في العدد، أو الإمدادات، وإنما بتفرد قادة من السراة - على الخصوص - بقيادة أهم قسم من أقسام الجيش، فها هو قيس بن هبيرة كان على رأس فرقة الخيالة في معركة اليرموك يتلقى أوامره من القائد العام للمعركة، خالد بن الوليد، وعمرو بن الطفيل بن عمر ذي النور الدوسي كان على فرقة أخرى، وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي على فرقة ثالثة، معظم فرسانها من قبائل السراة<sup>(٦)</sup> .

(١) الأزدي / ٢٣-٢٥، أبو محمد أحمد بن أعثم، كتاب الفتوح، مصور من طبعة حيدر أباد بالهند (بيروت: دار الندوة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ج ١، ص ١٠٤، ١١٤ .

(٢) الواقدي، ج ١، ص ٢٧٠ .

(٣) المصدر نفسه، وللمزيد من التفاصيل عن شخصية عمرو بن معدي كرب، وشجاعته في الحروب، انظر ابن هشام، ج ١، ص ٤١، ج ٤، ص ٢٢٠-٢٢٢، علي بن الحسن السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج ٢، ص ٢٢٥-٢٢٦، البلاذري، ص ١٢٦-١٢٧، ١٢٨ .

(٤) انظر الواقدي، ج ١، ص ١١٠-١١٢ .

(٥) الأزدي، ص ١٥٩، ١٨٥-١٨٦ .

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٩١، ٢٢٢-٢٢٤، الواقدي، ج ١، ص ١١٨، الطبري، ج ١، ص ١١٨، الطبري، ج ٣، ص ٣٩٧، ٤٠٢ . ومن بطولات بعض رجال السراة في معركة اليرموك، ما ذكر الأزدي حيث يقول: "وثبتت بعض قبائل الأزد السروية، فقاتلت قتالاً شديداً لم يقاثل مثله أحد من تلك القبائل، وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها قبيلة من القبائل الأخر . وأقبل يومئذ عمرو بن الطفيل ابن ذي النور، وهو يقول، يا معشر الأزد، لا يؤتبن المسلمون من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه متقدماً عليهم وهو يقول:

قد علمت أوسن ويشكر تعلمم  
وعرد النكس وفسر الأيهم  
إني إذا الأبيض يوماً مظلم  
أني عفر في الوقاع ضيغم

وهذا يدل على إتقانهم فن الفروسية هم وذويهم من أهل السراة، وعلى معرفتهم بالخيول والعمل على تربيتها وإتقان ركوبها، ومن المعلوم أن فرق الخيالة كانت من أهم الفرق في الجيش، لأنها تعد السلاح الحاسم في المعركة إذا ما استقامت لها الأمور، لأن سهولة حركتها وكثرة غاراتها على الأعداء تعمل على تبديد قواهم، وبالتالي تساهم مساهمة كبيرة في إنهاء المعركة لصالحها .

ويروي ابن أعثم أن عدداً من السرويين كان في القلب واليمنة، وقسم منهم مع الرماة، وغالبيتهم كانوا فرساناً<sup>(١)</sup> . وفي ظني أن وجودهم في القلب - على الخصوص - يدل على شجاعتهم، وحسن إتقانهم لفنون القتال، لأنه جرى في الترتيب للقتال أن يختار جماعة من الشجعان الكماة الذين يمتازون بحسن القتال والصبر عليه بأن يكونوا في القلب لما له من أهمية في الميدان حيث يوجد فيه القائد العام للمعركة الذي ينظم الصفوف، ويستبدل الخطط ليضمن النصر، فلا بد من حمايته .

من هنا كان اختيارهم مقصوداً، ومهما يكن من أمر فإنه يوجد أكثر من دلالة تدل على حسن قيادتهم وإتقانهم لفنون القتال، فتراهم في الميسرة، وفي اليمنة، وفي القلب، ومع الرماة .

كما نرى تعيين قادة منهم أكثر من مرة، وفي أكثر من معركة، فها هو قيس بن هبيرة المرادي يعين على جند الميسرة وكان من بينهم عشائر من خولان، ومذحج، وختعم، والأزد، وهمدان<sup>(٢)</sup> . وفي رواية أخرى تشير إلى تعيينه على جند اليمنة في اليرموك، وكان منهم عشائر زبيد، ومعهم زعيمهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي<sup>(٣)</sup>، ويبدو عدم تعيين عمرو كقائد ليمنة الجيش يعود إلى نسيان نفسه إذا ما حمي الوطيس، وهذا النسيان قد يؤدي بالجندي إلى الهلاك، لأن قعدة السيوف تشير الحميه في نفسه، لكنه مخطط بارع من الدرجة الأولى، وهذا ما دفع الخليفة عمر أن يطلب من قائد معركة

وقال جندب بن عمرو بن حممه، ورفع رأيته :

يا معشر الأزد، إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الإثم والعار إلا من قاتل الأ وإن المقتول شهيد، والخائب من هرب اليوم، ثم قال :

يا معشر الأزد احتذاذ الأفيال هيهات هيهات ووقوف للحال

لا يمنع الراية إلا الأبطال

لمزيد من التفصيلات، انظر، الأزدي، ص ٢٢٢-٢٢٤، نزار عبد اللطيف الحديثي . أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ن. ت) .

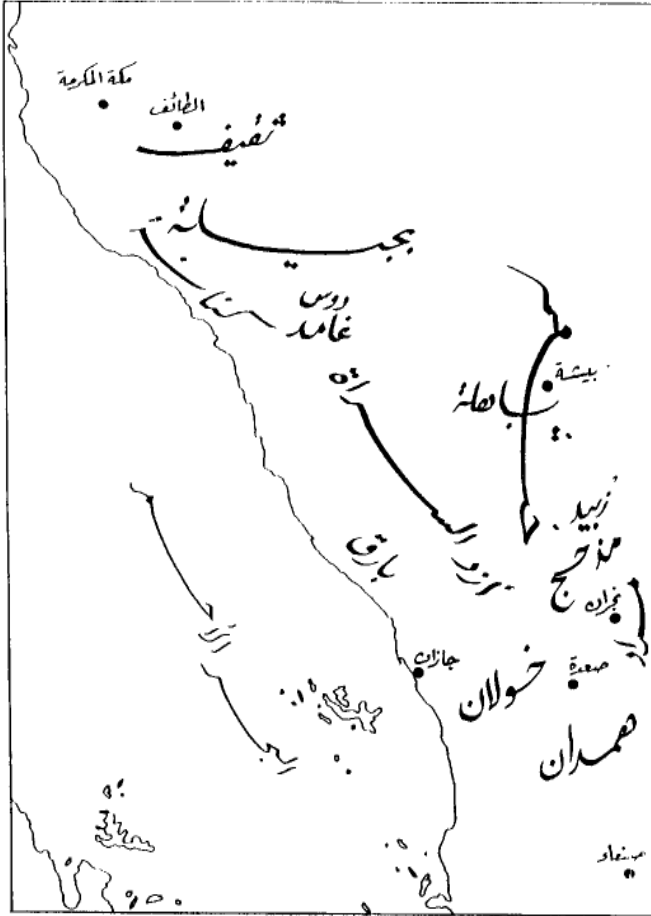
(١) ابن أعثم، ج ١، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٥، ٢٥٨ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٩ .

القادسية سعد بن أبي وقاص أن يستشيرَه في تخطيط المارك دون تعيينه كقائد عام للسبب المذكور آنفاً<sup>(١)</sup>.

### خارطة رقم (١)



### أهم القبائل العربية ببلاد تهامة والسرارة في صدر الإسلام

(١) عمرو بن معدي كرب الزبيدي من الشخصيات الهامة التي ساهمت في الفتوحات الإسلامية في الجبهة الفارسية مع سعد بن أبي وقاص، وبخاصة في معركتي القادسية وجولاء، ولمزيد من التفصيل انظر الحديث عن الجبهة الفارسية خلال بعض الصفحات التالية.

ويبدو أن السرويين خاصة والمسلمين عامة، أبلوا بلاءً حسناً في حربهم ضد الروم، وثبتوا لهم ثبوت الرواسي، وقد برز في هذه المعارك قيس بن هبيرة المرادي، وعمرو ابن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، الذي روي عنه أنه كان يستثير همم المجاهدين، وبخاصة الزبيديون من قومه، والخثعميين، والدوسيين وغيرهم، فيحثهم على الأقدام على محاربة الروم، ويحذرهم من الفرار والجبن من الأعداء، فيقول لهم: "... أتقرون من الأعداء، أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار؟ ... أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصابرين، فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته، وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم به" (١) . وعندما سمع المجاهدون قوله التفوا حوله، وانضم إلى جانبه قبائل أخرى من الأزدي، وحمير، وخولان وغيرها، وأبلوا بلاءً حسناً في حربهم مع الروم، وثبتوا لهم في الميدان، حتى قيل إنه استشهد من هذه القبائل أكثر مما استشهد من القبائل الأخرى . وبصد مساهمة بعض قبائل أهل تهامة والسراة في معركة اليرموك، يقول الأزدي: "... وفيها الأزدي وهم ثلث الناس، وفيها حمير وهم أعظم الناس، وفيها همدان، وخولان، ومذحج، وخثعم ...." (٢) .

وبعد، فإن الإشارات السابقة تعكس مدى مشاركة أهل تهامة والسراة، لكن - مع الأسف - لم تذكر مجموع المشاركين، ولم تذكر عدد الأفراد المشاركة في كل الإمدادات التي أرسلت إلى جبهات القتال في بلاد الشام - خاصة - في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب، حيث كانوا يخرجون من ديارهم يفدون على الخليفة بما يحتاجون من الإمدادات العسكرية وينطلقون نحو الشام، بعد تعيين قادة عليهم، واستمر هذا المدد يأتي من تهامة والسراة ماراً بالمدينة المنورة متجهاً نحو الشام لتأدية فريضة الجهاد إلى أن دخلت الشام في الإسلام .

### ب - دورهم في الجبهة الفارسية :

بعد الانتهاء من حروب الردة، طلب الخليفة أبو بكر من خالد بن الوليد أن يذهب بمن معه من الجند إلى المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان يقاتل الجيوش الفارسية في جنوب العراق، وجاءت هذه النجدة، بناء على طلب المثنى، وبعد وصول خالد واشترائه مع المثنى في جبهة قتال واحدة، وصلت إلى الخليفة أبي بكر أنباء من بلاد الشام تطلب النجدة، بسبب ما أحاط بالمسلمين من أهوال ومصاعب، فما كان من الخليفة أبي بكر،

(١) انظر ابن أعمش، ج ١، ص ٢٥٩ .

(٢) الأزدي، ص ٢١٨ .

إلا أن طلب من خالد بن الوليد بأن يترك المثنى ويتوجه إلى بلاد الشام لشد أزر الجيوش الإسلامية هناك .

بقي المثنى بن حارثة وحده في الميدان، وأدرك أنه في حاجة إلى مدد عسكري يعوض به جيش خالد، فأرسل إلى الخليفة أبي بكر يطلب منه العون، فأرسل له الخليفة عددا من المجاهدين بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي، الذي قتل في معركة الجسر في شهر شعبان من العام الثالث عشر للهجرة، وكان من نتائج المعركة، اندحار المسلمين أمام قوات الفرس<sup>(١)</sup>. وفي هذه الفترة الزمنية، حدثت حوادث جسام للمسلمين منها السوء ومنها الحسن، ففيها انتقل إلى الرفيق الأعلى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب زمام الأمور من بعده، وفيها اندحرت القوات الإسلامية أمام جيوش الفرس، لكنها انتصرت على قوات الروم في معركة اليرموك، وأخذت تطارد فلولهم، الأمر الذي طمئن الخليفة عمر على حال المسلمين في الجبهة الشامية، وتفرغ إلى الجبهة الفارسية، فأعلن النفير، وأخذ يستحث الناس على الجهاد فلبى الدعوة عدد كبير من أبناء الجزيرة، وخاصة أبناء تهامة والسراة، وأبناء الحواضر في اليمن، وكان في مقدمة الإمدادات العسكرية القادمة من السراة البجليون وعلى رأسهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي الذي استقبله الخليفة عمر عند وصوله إلى المدينة المنورة .

واختلفت الروايات فيما دار بين الاثنين، وقد رأينا ذكرها لاطلاع القارئ عليها قصد التعرف على مضامينها وأولويات هذه المضامين، وأخذ ما هو الأرجح من هذه الروايات بعد قياسها بواقعها . والرواية الأولى تورد ما دار بين القائد البجلي وبين الخليفة عمر، حيث قال الخليفة: "ويحك يا جرير! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة - يقصد معركة الجسر - والمثنى بن حارثة في وجه العدو... فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم، وتخمد بك جمرتهم..."<sup>(٢)</sup>.

أما الرواية الثانية، يذكر أن جريرا أراد أن يجمع شتات قومه الموزعين بين القبائل ليجعلهم في جمع واحد<sup>(٣)</sup>، فطلب من الخليفة أبي بكر ما أراد، لكن الخليفة كان مشغولا

(١) للمزيد من المعلومات عن الحروب الأولى التي وقعت بين المسلمين والفرس، انظر . الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٤٤ وما بعدها، المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٠٧ وما بعدها .

(٢) ابن أعمش، ج١، ص ١٧١ .

(٣) لم نستطع العثور على الأسباب التي جعلت بعض عشائر وقبائل بجيلة موزعة بين عشائر وقبائل أخرى، ويتضح تفرقهم من حرص جرير بن عبد الله البجلي على جمعهم تحت زعامة واحدة ومن المحتمل أنهم تفرقوا لمهارتهم في فنون القتال، ولكانتهم بين القبائل مما جعل لهم ارتباطا واختلاطا مع العديد من القبائل، أو أنه حدث بينهم حروب ونزاعات في الجاهلية سببت اختلافهم ثم تفرقهم واندماجهم في قبائل أخرى .

بحرب الردة، وبارسال الجيوش إلى الجبهتين الشامية والفرسية، فلم يلب طلبه، وأفصح عن ذلك بقوله: " ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بأزايهم الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرض لله ولرسوله، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى انظر ما يحكم الله في هذين الوجهين"<sup>(١)</sup>. نستشف من هذا القول أن لأبي بكر الصديق أولويات في الأمور، فهو الآن في أمر أهم مما طلبه جرير البجلي، لكن جريرا ربما كان يرى رؤية أخرى، وهي أن يكون على رأس قومه في القتال، وهذا مما يؤدي إلى زيادة الالتحام بينه وبينهم إلى جانب معرفتهم بأساليب قتاله، وأن أية سلبية من سلبيات القتال تنعكس بوضوح عليه وعلى قومه. ولكن طلبه ربما جاء في ظروف صعبة للغاية، الأمر الذي تعذر على أبي بكر تحقيقه<sup>(٢)</sup>. وهناك تضارب في الأقوال، البعض يقول أن جرير بن عبد الله البجلي سار على رأس جيش من عشائر وقبائل مختلفة إلى أن وصل معسكر خالد قبل ذهاب خالد بن الوليد إلى الشام، بل ويذكر أن وصوله إلى بلاد الفرس كان في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، ثم أن الطلب الذي طلبه جرير من أبي بكر، لم يحدث بل حدث في عهد الخليفة عمر، وأن الخليفة عمر قد لبى الطلب، لما رأى فيه من فائدة تبرز تلاحم البجليين ومهارتهم في القتال، فأمر الخليفة بإخراج عشائر بجلية من القبائل الأخرى، فجاءته قيس كبة، وسحمة، وعرينة وهؤلاء رهط جرير بن عبد الله البجلي، من قبائل عامر بن صعصعة، وعدد آخر من أفخاذ بجيله كانوا في عشائر عربية أخرى<sup>(٣)</sup>. فلما اكتملت عدتهم سيرهم الخليفة عمر بقيادة جرير إلى العراق سنة (١٢ هـ)، في الفترة ما بين قيام المعركتين البويب والقادسية، وكان معهم نساؤهم وأطفالهم، فقد بلغ عدد النساء ألف امرأة<sup>(٤)</sup>، ولا ندري لم هذا الرحيل الجماعي إلى الجبهة الشرقية (جبهة الفرس) إلا إذا كان القصد من ذلك الاستقرار هناك لمتابعة المعارك المتتالية بوجودهم الدائم ومعهم نساؤهم وذراريهم قصد اطمئنانهم واستقرارهم.

ويبدو من بعض الروايات التاريخية أن رغبة قبائل بجيله الذهاب والبقاء في بلاد الشام، لكن الخليفة عمر لم يحقق رغبتهم، مبيناً لشيوخهم بأن الشام أصبحت في مأمن من الروم، وأن عليهم التوجه إلى بلاد فارس، حيث إنها ما زالت محفوفة بالمخاطر،

(١) الطبري، ج٢، ص٢٦٥، عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ج٣، ص٥٢٢.

(٢) الطبري، ج٢، ص٣٦٥، ٣٥٩، البلاذري، ص٢٤٧، ابن خلدون، ج٢، ص٥٢٢.

(٣) انظر، الطبري، ج٢، ص٤٦٠، ٤٧١، البلاذري، ص٢٧٤، ابن خلدون، ج٢، ص٥٢٢.

(٤) انظر الطبري ج٣، ص٥٨١، نزار الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، ص٧٤ وما بعدها.



وعرض عليهم أن يأخذوا ربع ما يغلبون عليه من الأراضي<sup>(١)</sup>، وفي رواية للبلاذري أن الخليفة عمر قال لزعيم بجيلة، جرير بن عبد الله: "هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس..."<sup>(٢)</sup>، ويذكر الطبري أن الخليفة نزلهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزواتهم فذهبوا إلى العراق، واستقروا فيه<sup>(٣)</sup>.

ويبدو قبل ذهاب البجليين للعراق، التقى رؤساء عشائرتهم مع الخليفة عمر يتقدمهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي، وعرفجة بن هرثمة البارقي<sup>(٤)</sup>. وعند استقبال الخليفة لهم، ولى عليهم عرفجة وقال لهم: "اسمعوا لهذا، فلم يكن البجليون يرضون بولاية عرفجة، وقالوا للخليفة: إعفنا من عرفجة: فقال: لا أعفيكم من أقدامكم هجره وإسلاماً، وأعظمكم بلاء وإحساناً، قالوا استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه، فقال: انظروا ما تقولون، قالوا: نقول ما تسمع، فأرسل إلى عرفجة، فقال إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك، قال: صدقوا أنا امرؤ من الأزدي، ثم من بارقي، في كهف لا يحصى عدده، فقال عمر نعم الحي الأزدي يأخذون نصيبهم من الخير والشر، قال عرفجة إنه كان من شأننا أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة، فأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم، فحفظوا على الأمر، ثم دار بيني وبين دهاقينهم بعض الفتن فحسدوني وكفروني، فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك، واستعمل جريراً مكانه"<sup>(٥)</sup>.

ويبدو من هذا الحوار المسوغات التي أبداهها عرفجة في رفضهم إياه، كما لمس مفهوم العصبية عندهم، ومدى تأثيرها في قراراتهم، وهذا ما أحس به الخليفة عمر،

(١) انظر المسعودي، ج٢، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) البلاذري، ص ٢٥٤٠.

(٣) الطبري، ج٣، ص ٤٦٠، ٤٦٢.

(٤) هو عرفجة بن هرثمة من بني عدي بن حارثة بن عمر بن عامر، وعداده في بارقي من الأزدي. للمزيد من التفصيل انظر، أحمد محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ج٢، ص ٢٣٤، الطبري، ج٢، ص ٤٦٢-٤٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ٤٦٢-٤٦٣ ويورد ابن الأثير القصة التي وقعت بين عرفجة البارقي وبجيلة، ولكنه يشير إلى أن جرير بن عبد الله البجلي هو الذي أيد قومه على تقديم شكواهم إلى الخليفة عمر بشأن عرفجة، بل ويورد أن الخليفة عمر، بعد سماعه لقصة عرفجة قال له: "أثبت على منزلتك، فدافعهم كما يدافعونك فقال لست فاعلاً ولا سائراً معهم" ثم خرج إلى البصرة، وهذه الرواية قد لا تكون صحيحة، لأن البصرة لم تختل بعد، ولم تكن معركة القادسية قد وقعت بعد. ابن الأثير، ج١، ص ٢٧٩-٢٨٠، انظر أيضاً الطبري، ج٢، ٤٧١-٤٧٢.

مما دفعه إلى قبول مطالبهم، وهي استبعاد عرفجة وتعيين جرير بن عبد الله البجلي بدله. والدليل على صحة ما نقول، أن عرفجة قدم مرة أخرى على الخليفة عمر، ومعه سبعمئة غاز من الأزديين، وعدد من بارق وأمع، فطلبوا من الخليفة الذهاب إلى الشام، فقال الخليفة: " ذلك قد كفيتموه، العراق العراق! ذروا بلدة قد قتل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك، فتعيشوا مع من عاش من الناس" (١) . عندئذ قام عرفجة خطيباً في قومه من الأزد، وقال: " يا عشيرتاه! أجيئوا أمير المؤمنين إلى ما يرى، وأمضوا له ما يسكنكم، قالوا: إنا قد أطلعناك، وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد" (٢) .

فدعا لهم الخليفة عمر، ثم أمر عليهم عرفجة بن هرثمة البارقي، وأرسلهم مددا إلى المثني بن حارثة الشيباني، وهذه الرواية الأخيرة ربما هي أقرب إلى القول الصحيح من التي قبلها . لكن الغريب في ذلك لا نجد ذكرا لملموسا لمساهمة عرفجة ومن كان معه في الحروب التي خاضها المثني ضد الفرس، في حين نجد المصادر تورد اسم عشائر بجيلة وزعيمهم جرير بن عبد الله، فتشير إلى خروجهم من المدينة المنورة نحو بلاد فارس، فالتقوا بالمثني واندمجوا مع جيشه، وتصدوا لمهران، أحد ملوك الفرس، في معركة البويب، فتم لهم النصر بقتل مهرا، وكان ذلك في شهر رمضان سنة (١٣هـ) (٣) .

وقد تناقضت الأخبار عند أصحاب الروايات والسير حول من كان القائد في المعركة، فبعضهم يرى المثني، وبعضهم يرى جريراً، وبعضهم يرى أن كلا منهما كان قائداً على قومه . لكن على ما يبدو من كثرة ذكر المثني أنه هو الذي كان القائد العام

(١) الطبري، ج٢، ص ٤٦٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) للمزيد من التفاصيل عن معركة البويب، انظر الطبري، ج٢، ص ٤٦٠ وما بعدها، المسعودي، ج٢، ص ٢١٠ وما بعدها . ويذكر أن الذي قتل مهرا هو جرير بن عبد الله، واقتسم سلبه مع المنذر بن حسان بن المنذر بن ضرار الضبي، الذي شاركه في قتله، والذي قال في ذلك بعض الشعر، حيث يقول:

ألم ترني خالست مهرا نفسه	بأسمر فيه كالخلال طيرير
فخر صريعاً والتقاني برجاله	وبادر في رأس الهمام جرير
فقال: قتيلي، والحوادث جممة	وكاد جرير للسروير يطير
فقال أبو عمرو: وقتلي قتلته	ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل يميناً إن رمحك نالته	وأكرم أن تحلف وأنت أمير

انظر، البلاذري، ص ٢٥٤، الطبري، ج٢، ص ٤٦٦، ابن أعمش، ج١، ص ١٧١، المسعودي، ج٢، ص ٢١١ .

للمعركة، لأن هناك رواية تشير إلى أنه عندما تم قتل مهران، ادعى كل من جرير والمندر قتله، وتنازعا فيما بينهما، فذهبا إلى المثني ليتقاضيا عنده، فحل المعضلة بأن أعطي سلاح مهران لجرير، وأعطى للمندر منطقتة، كما قام بتوزيع غنائم معركة البويب، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه القائد العام للمعركة<sup>(١)</sup>.

وأبلى جرير البجلي وقومه بلاءً حسناً في المعركة، ومما روي عنه، أنه كان يحثهم على الإقدام والمثابرة على القتال، ومما قاله لهم: "... يا معشر بجيلة، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النفل مثل الذي لكم منه ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدد، ولا أشد عليه منكم للذي لكم، فإنما تنتظرون إحدى الحسنين: الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة"<sup>(٢)</sup>.

وبعد معركة البويب عين الفرس (يزد جر) ملكاً عليهم، وأعدوا العدة لملاقاة المسلمين، ولما علم الخليفة عمر، صمم أن يتولى قيادة الجيش، لكن أعيان الصحابة أمثال عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم، رفضوا رأيه، وطالبوه بتعيين شخص مناسب لذلك وهو سعد بن أبي وقاص، لأنه إذا مات في المعركة، يختلف المسلمون فيما بينهم بتولية خليفة بدله، لكن كقائد جيش آخر، من الممكن استبداله عند العزل أو الموت، إلى جانب أن المسلمين بحاجة الخليفة عمر لينظم أمورهم ويقيم الحدود. وتم ما أرادوا وعين سعد على رأس الحملة، وكان دور أهل تهامة والسراة مميزاً، فقد شارك فيها عدد من عشائر بارق، وأمع، والحجر، وغامد الذي بلغ عدد أفرادها سبعمائة جاءوا إلى الخليفة عمر وعلى مقدمتهم حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى قدم من قبائل مذحج ألف وثلاثمائة يتقدمهم ثلاثة رؤساء منهم، أبو سبرة بن ذؤيب، وعلي بن منبه، وعمر بن معدي كرب الزبيدي<sup>(٤)</sup>، ولا ندري عن مدى

(١) الطبري، ج ٢، ص ٤٧٢، المسعودي، ج ٢، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) الطبري، ج ٢، ص ٤٦٩.

(٣) انظر، الطبري، ج ٢، ص ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٦، البلاذري، ص ٢٥٦، ويذكر ابن حجر العسقلاني، أن أبي ظبيان الأعرج الغامدي كان الحامل لراية غامد في معركة القادسية، وهو القائل:

أنا أبو ظبيان غير المكذبة  
أبي أبو العنقا وخالي اللهبه  
أكرم من يعلم بين ثعلبية

انظر، شهاب الدين أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ج ٤، ص ١٨٨، ترجمة رقم (٥٢٢٨)، حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران نصوص، مشاهدات، انطباعات

(الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص ٢٨٢.

(٤) الطبري، ج ٢، ص ٤٨٤.

صدق القول بأن عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان أحد زعماء قبائل مذحج الوافدة على المدينة قبل معركة القادسية، لأن بعض الروايات تشير إلى وجوده مع الجيش الإسلامي في جبهات الفتوح ببلاد الشام، ثم نجد الخبر عنه الآن يقدم مع بعض قومه من بلاد السراة للانضمام إلى صف سعد بن أبي وقاص، وقد يكون هناك احتمالان الأول : أنه ذهب إلى بلاد الشام وبعد معركة اليرموك عاد إلى بلاده بأرض السراة ثم خرج مرة ثانية إلى المدينة للمشاركة في حروب المسلمين مع الفرس، ويكون خروجه في المرة الثانية مثل خروج غيره من زعماء تهامة والسراة أمثال حميضة بن النعمان البارقي وغيره، والاحتمال الثاني أنه ربما رجع من بلاد الشام واشترك مع بني قومه عندما وصلوا المدينة وانضموا مع جيش سعد الذي يقال أنه كان نحو أربعة آلاف، ثلاثة آلاف منهم من بلاد تهامة والسراة والألف الرابع من سائر الناس<sup>(١)</sup> .

وخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة في شهر المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة، ومعه الأربعة آلاف مقاتل متجهاً إلى بلاد فارس، وبعد أن أصبح على مقربة من الجيش الإسلامي اتاهم نعي المثنى بن حارثة الشيباني، وينضم إليه جرير بن عبد الله البجلي بمن كان معه من قومه، بل ويجمع الجيش كله تحت قيادته، وعندئذ أرسل الطلائع لاكتشاف قوة الفرس فوجد قوتهم كبيرة، وأعدادهم كثيرة، فأرسل إلى الخليفة في المدينة يطلب منه المدد فأمدّه بأربعة آلاف مقاتل، كان من بينهم ألفان من بلاد تهامة والسراة، والألفان الآخران من قبائل غطفان وقيس النجدية<sup>(٢)</sup> . وتشير بعض الروايات إلى مجموع الجيش الذي كان يحارب مع المثنى بن حارثة وجرير ابن عبد الله قبل قدوم سعد بن أبي وقاص فكان نحو ثمانية آلاف، وكان من بينهم ألفان من قبائل بجيلة<sup>(٣)</sup> ، وهذا العدد فيما يخص بجيلة يختلف مع مجموع المجاهدين الذين خرجوا مع جرير عندما أرسل مدداً للمثنى حيث لم يكونوا أكثر من سبعمئة مجاهد، ووصولهم إلى الألفين ربما لأن البعض منهم خرج في الفترة الواقعة بين خروج جرير قبل معركة البويب وبين وقوع معركة القادسية .

وإن حاولنا معرفة نسبة أهل تهامة والسراة من الجيش الكلي الذي جمع تحت قيادة سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية، فلن نصل إلى معرفة دقيقة لهم، لأن المصادر لا توفر لنا ما نريد، وأكثر المعلومات التي نجدها، هو ما أشير إليه سابقاً،

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٤، ٤٨٦ .

وبخاصة قبيلة بجيلة، فقد أشارت بعض الروايات إلى عددهم في الجيش الكلي، ولكن أيضاً يسود هذه الروايات بعض الاختلافات . فبعضها أشارت إلى أن عددهم قبل قدوم سعد بن أبي وقاص كان ألفين، ورواية أخرى تذكر أن هذا العدد بعد جمع الجيوش تحت زعامة سعد<sup>(١)</sup>، وفي رواية لإسماعيل بن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس بن أبي حازم البجلي أن عدد من شهد القادسية كان بين ستة إلى سبعة آلاف مجاهد، وبجيلة كانت ربع الناس<sup>(٢)</sup>، ويورد ابن أعمش رواية فيذكر أنه اجتمع تحت قيادة سعد بن أبي وقاص نحو أربعين ألف مقاتل، ثم جاءه المدد من بلاد الشام في حوالي عشرين ألف آخرين، فصار المجموع الكلي نحو ستين ألفاً<sup>(٣)</sup>، ويورد الطبري رواية أخرى تخالف رواية ابن أعمش فيذكر أن عدد الجيش الإسلامي قبل وقوع القادسية كان يزيد عن الثلاثين ألف مقاتل، لكنه لم يشير إلى المدد الذي جاء من بلاد الشام<sup>(٤)</sup>، وروايتا الطبري وابن أعمش ربما تكونان أقرب إلى الصحة من التي قبلهما، لأن الجيوش التي كانت مع المثني بن حارثة الشيباني، ثم الإمدادات التي تلاحقت حتى خرج سعد بن أبي وقاص قد تصل إلى أعداد كبيرة تتوق ما ذكر في رواية إسماعيل ابن أبي خالد، الأنفة الذكر . وكون المجموع الكلي للجيش الإسلامي المشارك في معركة القادسية غير معروف تمام المعرفة، ثم إن المصادر لم تفصل، بل ولم توضح نسبة مساهمة أهل تهامة والسراة من المجموع العام، لكن مما لاحظنا في سياق الأخبار السابقة أنهم كانوا من العناصر الأساسية في جيش الخلافة في ميادين الجبهة الفارسية .

وعندما اكتمل جيش سعد بن أبي وقاص، وصار على أهبة الاستعداد لمواجهة الفرس في معركة القادسية، طلب الأمير سعد بن أبي وقاص المدد من الخليفة فأرسل الخليفة عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح في بلاد الشام وأمره بإمداد سعد ببعض من الجيش الذين كانوا معه، فذكر الطبري أنه أمده بخمسة آلاف من قبائل ربيعة ومضر الشامية، وألف من قبائل تهامة والسراة اليمانية<sup>(٥)</sup>، ويروي البلاذري أن عدد المقاتلين من أزد السراة في ذلك الجمع الذي أرسله أبو عبيدة من الشام كانوا سبعمائة مجاهد، وكانوا تحت زعامة قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي<sup>(٦)</sup>، وهذا الرقم الذي أشار إليه

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٨٤، ٥٧٦، البلاذري، ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

(٣) ابن أعمش، ج ١، ص ٢٠١ .

(٤) الطبري، ج ٢، ص ٤٨٧ .

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤٢ .

(٦) البلاذري، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ٢٦١ .

كل من الطبري والبلاذري يختلف عن الرقم الذي أشار إليه ابن أعثم وهو عشرون ألف مقاتل، ولا ندرى هل المدد الذي جاء من بلاد الشام إلى سعد بن أبي وقاص كان على فترتين أو على فترة واحدة فقط فلا بد أن إحدى الروايتين غير صحيحة، وربما رواية الطبري والبلاذري أقرب إلى الصحة، لأنه من متابعة سير الإمدادات التي كان يرسلها الخلفاء في الفترة الأولى من الفتوح الإسلامية كانت لا تزيد عن الخمسة أو الستة آلاف رجل، ثم إن إرسال عشرين ألف مقاتل من بلاد الشام كما قال ابن أعثم قد تخل بتوازن الجيش الإسلامي في بلاد الشام، خصوصاً أن الفتح لم يتوقف في بلاد الشام، ولكنه امتد إلى مصر وبلاد المغرب مباشرة بعد وقعة اليرموك وسقوط بلاد الشام، وبالتالي فالجيش الإسلامي في تلك الأجزاء الجديدة من العالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة، ومثل تلك الإمدادات لن تتم إلا عن طريق الجيوش الإسلامية الموجودة في بلاد الشام .

وتستعرض مصادر التاريخ الأحداث التي حصلت بين الفرس والمسلمين في معركة القادسية، وتطيل الشرح في الوقائع والاصطدامات التي حدثت بين الطرفين، وبخاصة في الأيام الثلاثة المشهورة، بيوم أرمات، ويوم أغواث، ويوم أعماس، ثم الليلة الأخيرة في تلك المعركة التي أطلق عليها ليلة الهرير<sup>(١)</sup>، وكذلك الجهود التي بذلتها الجيوش الإسلامية في مصارعة الفرس، وبخاصة البجليون الذين أبلوا بلاءً حسناً، رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة، فكان لدى الفرس ستة عشر فيلاً يقاتلون البجليين بها، إلى جانب: استخدم امهم لحسك الحديد، الذي هو ثلاثة مسامير حادة تتصل بالقاعدة التي تغرس في الأرض فيضرب حافر الفرس، أو قدم المشاة فيعطله عن السير، رغم هذا فقد استطاعت الخيول البجلية تخطي هذا الحسك الشبيه اليوم بـ (الألغام المتفجرة) . ونجح البجليون ومن معهم من المسلمين في صد القوات الفارسية، حتى جاءتهم إمدادات عسكرية أخرى، من غامد، وربيعة، والأسد، وغيرها، وبعون الله تمكنوا من رد الفرس، وإجبارهم على التراجع<sup>(٢)</sup>، وفي صمود البجليين، قال سعد بن أبي وقاص عنهم :

وما أرجو بجيلة غير أنبي  
فقد لقيت خيولهم خيولا  
وقد دلفت بعرضتهم فيول  
وأؤمل أجرهم يوم الحساب  
وقد وقع الفوارس في ضراب  
كأن زهاءها إبل جراب<sup>(٣)</sup>

(١) للمزيد من التفصيل عن معركة القادسية، وأيامها المشهورة، انظر: الطبري، ج ٢، ص ٤٨٠ - ٥٧٩ .

(٢) الطبري، ج ٢، ص ٥٧٦، المسعودي، ج ٢، ص ٢١٢ .

(٣) الطبري، ج ٢، ص ٥٧٧ . وفي رواية أخرى تذكر أن الفرس اجتمعت على قبائل بجيلة، فجاءهم المدد من

وبهزيمة الفرس في القادسية، ومقتل قائدهم رستم، ثم تقهقرهم إلى الورا، ودخول المسلمين إلى المدائن عاصمتهم، لكنه لم يكن إلا وقت وجيز حتى جمعوا فلولهم في جلولاء، فبلغ عددهم حوالي ثمانين ألفاً، ولما علم قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص بتجمعهم استشار ذوى الرأي، وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي أحد مستشاريه، وقد قال لسعد :

"أيها الأمير! لا نحب أن نتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس، هو الذي ينصرنا عليهم اليوم... وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلا بد لهم مما كتب لهم،... فلنسنا نشارك في القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش، فطوبى لمن قتل في سبيل الله صابراً يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل..."<sup>(١)</sup>

اقتنع سعد بكلام عمرو وكلام غيره من ذوى الرأي، وأوكل القيادة لابن أخيه هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص، وانضم إلى هاشم جرير بن عبد الله وصحبه من المجاهدين البجليين، ودوس، وخثعم، وعشائر وأفخاذ من القبائل اليمانية والمضرية، يعاونه قيس بن مكشوح المرادي، وعمرو بن معدي كرب وغيرهما، والتقى الجمعان ودارت رحى الحرب، وأظهر المسلمون بسالة وصبراً، والكل يثير همم قومه ويستحثهم على الصبر، وكان من بين القادة الذين كانوا يجوبون الميدان (يحث قومه)، جرير بن عبد الله البجلي، الذي أنشد يقول :

قادوا الجياد وفضوا جمع مهران  
يوم العروبة وتر الحي شيبان  
حاولت عند ركوب الحي قحطان  
ورمية كان فيها هلك شيطان<sup>(٢)</sup>

تلکم بجيلة قومي إن سألت بها  
وأدرکوا الوتر من كسرى ومعشر  
فسائل الجمع جمع الفارسي وقد  
عز الأولى كان هذا من يصول بهم

بعض العشائر الأزديّة اليمانية بقيادة القعقاع بن عمرو، فأعانوهم، وأجبروا الفرس على التقهقر، فقال سعد بن أبي وقاص مشيراً إلى مساعدة القعقاع وإنقاذ بجيلة مما كاد أن يحل بهم •  
هم منعموا جموعكم بطعن  
ولولا ذاك ألفيتم رعاء  
انظر، الطبري، ج٢، ص ٥٨٠

(١) ابن أعثم، ج١، ص ٢٧١ - ٢٧٢ •

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٤ ويذكر عن جرير أنه كان ينادي في قومه بجيلة ويقول: "الزموا الصبر وصابروا، فوالله إنكم الأنجاد الأمجاد، الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد! فاصبروا يا معشر بجيلة! فوالله إنني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقربه عيونهم، وما ذاك على الله بعزير" • انظر، ابن أعثم، ج١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ •

ويبدو أن كتائب الفرس أحاطت بالمسلمين، وأثقلتهم بالقتال، فأدرك عمرو بن معدي كرب الزبيدي خطورة الأمر، ودارت مساجلة بينه وبين المسلمين، بينوا له فيها ما أصابهم من إعياء بسبب مكوثهم الطويل في الميدان، وأوجسوا خيفة من كثرة الفرس، ولكن عمر استطاع رفع معنوياتهم وصبرهم، فكان لقوله تأثير في نفوسهم، ونظراً لأهمية هذه المساجلة ولنتيجتها الحاسمة، رأينا إيرادها ليستشف القارئ مدى أهمية رفع المعنويات، ومدى الخبرة في استخدام الأساليب المثيرة للأنفس، والمشجعة لها .

خطب عمرو بن معدي كرب بالمسلمين قائلاً : " يا معشر المسلمين! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا: نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا، وكاعت رجالنا، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة، إلا أن يأتينا الله بغيث من عنده، أو نرزق عليهم قوة ونصراً، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاثلون عن دينكم، وتذبون عن حريمكم، وتدفعون عن حوزة الإسلام، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض، وانزلوا عنها، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء، ليوث عند الوغى، وهذا يوم كبعث أيامكم التي سلفت، ووالله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه، ويكتب بكم عدوه ٠٠٠" (١) ثم ترجل عن فرسه (٢) وترجل معه ألف رجل من السراة، وكسروا أعماد السيوف طالبين الشهادة، وتم النصر بفضل من الله، ثم بفضل إيمانهم وصبرهم، وفي هذا يقول شاعر السراة، عبيد بن عمرو البجلي :

سل أهل ذي الكفر مهراً وأسرته	يوم البجيلة إذ خلوا عن القاع
واسلموا ثم مهراً ببلقعه	يوم العروبة مطروحاً بجعجاع
وفي جلولا اثرننا كل ذي بدع	بكل صاف كلون الملح لماع
وكف كل كريم الجد ذو حسب	حامي الحقيقة للأواء دفاع (٣)

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٦، وكان لعمرو بن معدي كرب مواقف بطولية أخرى في معركة القادسية يشجع فيها الجيوش الإسلامية على محاربة أعدائهم، انظر الطبري، ج٢، ص٥٧٦، البلاذري، ص٢٥٧، المسعودي، ج٢، ص٣٢٤ وما بعدها .

(٢) وعند نزول عمرو عن فرسه، كان يقول :

لقد علمت أقيال مذحج أنفي	أنا الفارس الحامي إذا القوم أضجروا
صبرت لأهل القادسية معلما	ومثلي إذا لم تصبر الناس يصبر
وطاعتهم بالرمح حتى تبددوا	وضاربتهم بالسيف حتى تكسروا
بذلك أوصاني أبي وأبو أبي	بذلك أوصاني فلست أقصر
حمدت إلهي إذ هداني لدينه	فله أسعى ما حييت وأشكر

انظر، ابن أعثم، ج١، ص٢٧٧ .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨ .



وتقدم المسلمون بعد انتصارهم في جلولاء إلى حلوان، ودخلوا دون صعوبة، وفي هذا ينشد عبد الله بن قيس الأزدي السروي :

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا      بحلوان أضحت بالكماة تجمجم  
ونحن دهمناها صباحاً بفيلق      جرير علينا في الكتيبة معلم  
ونحن أبدنا الفرس في كل موطن      بجمع كمثل الليل والليل مظلم

### ج - دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس :

لم يكن أهل تهامة والسراة فقط يرحبون ببناء الخليفة أبي بكر الصديق للانخراط في جيش الجهاد الإسلامي الذي ذهب من شبه الجزيرة العربية إلى جبهتي الفرس والروم، وإنما أيضاً حرصوا على المشاركة مع إخوانهم المسلمين في بناء الدولة الإسلامية، بل تحمل المسؤولية في القيام بأعمالهم على خير وجه، فكانوا يحاربون الأعداء راغبين في الشهادة والفوز بالجنة، أو النصر وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم يشاركوا جميعهم في الجيش الإسلامي قبل وأثناء المعارك مع الفرس والروم فقط على هيئة جنود محاربين دون أن يكون لبعضهم أدوار قيادية تنظيمية، وإنما على العكس من ذلك ففي الجبهة الشامية ضد الروم نجد بروز عدد من القادة أمثال قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، وعامر بن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو الدوسي وعمرو بن معدي كرب فكانوا جميعهم يقودون بعض الفرق في الجيش الإسلامي قبل وأثناء معركة اليرموك، بل وكان البعض منهم أمثال عمرو بن معدي كرب يستحث الجيوش على الإقدام والاستمرار في محاربة الروم والحصول على النصر أو الشهادة في سبيل الله (١) .

أما عن دورهم القيادي والتنظيمي في الجبهة الفارسية فكان أعظم بكثير حيث برز منهم قادة عظام كان لهم أيضاً شرف المساهمة في الجهاد على أرض بلاد الشام ضد الرومان أمثال قيس بن هبيرة المرادي، وعمرو بن معدي كرب، ولكن أيضاً ظهر قادة آخرون ساهموا في حرب الفرس أمثال أبي ظبيان الأعرج الغامدي الذي كان يحمل راية غامد في معركة القادسية، وعرفجة بن هرثمة البارقلي الذي صار مدداً للمسلمين في سبعمائة من أهل تهامة والسراة، وجرير بن عبد الله البجلي الذي كان على مقدمة جيش المسلمين مع سعد بن أبي وقاص وابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في

(١) انظر تفصيلات أكثر، الطبري، ج٢، ص٣٩٧، ٤٠٢، الأزدي، ص١٠٤ وما بعدها، ابن عثم، ج١، ص٢٥٤،

معركتي القادسية وجلولاء، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى شجاعة جرير، وقدرته على محاربة الأعداء، بل واستحثاته المسلمين على الصبر والجهاد لأجل الفوز بمرضاة الله، فكان يقول لهم: "أصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسينيين، إما الشهادة فتوابها الجنة، وإما النصر والظفر ففيهما الغنى من العيلة، وانظروا لا تقتاتوا رياء ولا سمعة، فحسب الرجل خزيًا أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق، وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم، وإنما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال فهي أغنى سلاح عندهم" (١) .

ومثل هذه العبارات لا تصدر من جندي عادي، وإنما مصدرها رجل جرب الحياة وعرفها، بل ومارس الحروب وأهوالها، ثم إن مكانته في الجيش الإسلامي ببلاد فارس كانت تسمح له أن يقوم على رؤوس المجاهدين وينصحهم بما يراه نافعا لهم، وما تقتضيه ظروف الحرب ضد الأعداء، ولو استقصينا المساهمات التي قام بها جرير وغيره أمثال عمرو بن معدى كرب وأبي ظبيان الغامدي لوجدناهم كانوا على مقدمة الجيوش في كل من القادسية وجلولاء وغيرهما من المعارك التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (٢) .

والفرق بين مساهمة أهل تهامة والسراة في الجبهتين الرومية والفارسية، هو أن القيادات منهم في معركة اليرموك وما قبلها كانت غالباً في الأمراء الأوائل الذين أرسلهم أبو بكر الصديق من المدينة أمثال أبي عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن أبي حسنة، وعمرو بن العاص، ثم خالد بن الوليد الذي أرسل إليهم مدداً من العراق وإن جاءت أسماء قادة من بلاد السراة أمثال عامر بن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو الدوسي، وعمرو بن معدى كرب، وقيس بن هبيرة المرادي، فلم يكونوا يتولون قيادات عامة، وإنما كانوا قادة على فرق في الجيش، وربما كانت تلك الفرق من أقوامهم وعشائرتهم، إلى جانب أنه يذكر عن الخليفة أبي بكر الصديق أنه رفض أن يستخدم في القيادة العامة من أسلم متأخراً أو من ارتد وشارك المرتدين في عهده (٣)، ومن المعلوم أن عمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة المرادي ارتدا وشاركا الأسود

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٢-٢٧٤، وللمزيد عن جهود جرير بن عبد الله البجلي، انظر، البلاذري، ص٢٥٢-٢٥٤، ابن أعمش، ج١، ص١٧١-١٧٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، انظر. الأزدي، ص١١ وما بعدها، الواقدي، ج١، ص١٥، وما بعدها، الطبري، ج٢، ص٢٤٢ وما بعدها، المسعودي، ج٢، ص٣٠٧ وما بعدها.

(٣) انظر الطبري، ج٢، ص٢٢٧-٢٤٠ .

العنسي بل وناصره عندما أعلن ارتداده ونبوءته، ثم سيطرته على بلاد اليمن وأغلب بلاد تهامة والسراة<sup>(١)</sup> . وبهذا فالخليفة الصديق لم يكن يستخدم أحداً من أهل تهامة والسراة في القيادات العامة في الجيش، ولكن عندما جاء الخليفة عمر بن الخطاب، ثم وجه الجيوش إلى بلاد الفرس وشاور جرير بن عبد الله البجلي على أن يذهب إلى بلاد فارس مع قومه وله ثلث وقيل ربع خراج العراق، فذهب جرير وتجمعت الجيوش في معارك البويب والقادسية وجلولاء فكان جرير من القادة العظام الذين شاركوا في تلك المعارك، بل ويقال أنه كان القائد العام في أرض المعركة بجلولاء<sup>(٢)</sup> .

### ٣- خلاصة القول :

إن أهل تهامة والسراة كانوا من القوى البشرية التي شاركت في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة، فلم يكونوا يتأخرون عن الاستجابة لنداء الخليفين الراشدين، أبو بكر وعمر، عندما استنفرا المسلمين في جهاد الفرس والروم، وإنما كانوا على مقدمة الجيوش في اليرموك، والبويب والقادسية وجلولاء، ساعين من وراء ذلك إلى الفوز والنصر وإعلاء كلمة الحق على أرض الروم وفارس، أو الفوز بالشهادة والخلود في جنات النعيم، وبسواعدهم الفتيه مع غيرهم من المسلمين في شبه الجزيرة العربية استطاعوا فتح بلاد الشام وفارس، ثم بلاد مصر والمغرب والأندلس، بل واستطاعوا بتوجيهات من خليفة المسلمين في المدينة المنورة أن يمصرفوا الكوفة والبصرة، والفسطاط والقيروان وغيرها، بل واستطاعوا مع غيرهم من المسلمين أن يكونوا حضارة إسلامية عريقة استطاعت أن تضاهي، وتتفوق على غيرها من الحضارات .

(١) لمزيد من المعلومات عن حركة الارتداد في عهد الخليفة أبي بكر ودور أهل تهامة والسراة، وبلاد اليمن في ذلك، انظر، الطبري، ج٢، ص٢٢٧-٢٤٠، ٢٤٠-٢٢٨ . المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٧٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٧٦ وما بعدها .

## ثالثاً: صور من صلات السرويين والتهاميين مع غيرهم (ق٢- ق١٢هـ / ق٨٠ - ق١٨م).

موضوع كبير يستحق أن يدرس في بحوث عديدة، لكنني أذكر نماذج محدودة من خلال قراءتي في كتب التراث الإسلامي خلال القرون الإسلامية الوسيطة. فهذه البلاد السروية والتهامية تقع في مكان جغرافي مميز يرتبط بجهات عديدة في شبه الجزيرة العربية، وتمر بها طرق برية قديمة تربط بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وتقع على شريط ساحلي طويل على البحر الأحمر يمتد من جنوب مدينة جدة إلى جازان<sup>(١)</sup>.

والقارئ للتاريخ السياسي والعسكري في العالم الإسلامي من القرن الهجري الثاني إلى القرن الثاني عشر الهجري (ق٨- ق١٨م) يجد أن شبه الجزيرة العربية تحولت إلى جزء ثاني وثانوي في عصور الخلفاء الأمويين والعباسيين (٤١- ٦٥٦/٦٦١- ١٢٥٨م)<sup>(٢)</sup>. ثم في عهدي الدولتين الأيوبيه والملوكية، واستمر الوضع نفسه في عهد الإمبراطورية العثمانية.

وإذا تأملنا الأوضاع السياسية والإدارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة، وبداية العصر الحديث اتضح أن الحجاز (مكة والمدينة) كانت تحت حكم الأشراف الذين يستمدون نفوذهم وقوتهم في بلادهم من تلك الدول الكبيرة في العراق، أو مصر، أو القسطنطينية<sup>(٣)</sup>. وبلاد البحرين (الخليج العربي)، واليمامة كانت هي الأخرى ولايتين مستقلتين، مع أن اليمامة أحياناً كانت في إدارتها أقرب إلى

(١) هذه مؤهلات جغرافية وحضارية جيدة جعلت السرويين والتهاميين يتصلون بغيرهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وهذا الموضوع جديد في بابته يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية. مع أنني أشرت إلى ذلك في دراسات سبق طبعها ونشرها، وحتى الآن لا أجد من يلقي بالا لهذه النداءات، أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يلتفت إليها ويأخذ بها أو ببعضها.

(٢) عند انتقال خلافة بني أمية (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م) من الحجاز إلى الشام. لم تعد شبه الجزيرة ذات أهمية كبيرة كما كانت في عصر الرسول ﷺ والخلافة الراشدة، وإنما تحولت إلى ولايات فرعية نائية تتبع للخليفة في الشام، واستمر الوضع في عصور الدول الإسلامية الكبيرة التي جاءت بعد الأمويين، وكان جل اهتمامها أن تسيطر على الحجاز ممثلة في الحرمين الشريفين حتى تنال لقب حماية المقدسات والحرمين الشريفين. ودراسة حرص واهتمام تلك الدول الإسلامية الكبيرة في السيطرة على الحجاز من منظور ديني موضوع مهم يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية، مع أن هناك بعض الدراسات المنشورة في هذا الجانب، لكن مازال الموضوع يستحق مزيداً من البحوث العلمية النقدية والتحليلية.

(٣) هناك عشرات الكتب، والرسائل العلمية، والبحوث المحكمة التي درست أوضاع شبه الجزيرة العربية السياسي، والحربي، والعسكري، والإداري من صدر الإسلام إلى بدايات العصر الحديث. ومازال هناك جوانب حضارية كثيرة تستحق البحث والدراسة والتوثيق خلال تلك القرون الإسلامية.

بلاد الحجاز منها إلى البحرين<sup>(١)</sup>. أما اليمن فقد ظهر فيها دويلات إسلامية مستقلة كثيرة، متفاوتة في سنوات حكمها، وأماكنها، ومعتقداتها، وتبعيتها وولاءاتها<sup>(٢)</sup>.

### **(\*) الذي يهمننا في هذه الورقات، هي بلاد السروات وتهامة في عصور الإسلام المبكرة، والوسيط، وبداية التاريخ الحديث وصلاتها سياسياً وحضارياً ببلدان المسلمين الداخلية والخارجية، وهذا ما سوف أشير إليه بإيجاز في الصفحات الآتية :**

١- دخل أهل تهامة والسراة الإسلام، وصاروا ضمن شرائح المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين. وقد رأينا في صفحات سابقة صوراً من دخولهم في الإسلام، ومساهماتهم الجهادية في الفتوح الإسلامية<sup>(٣)</sup>. وكان أغلب من خرج منهم إلى الحجاز ثم الشام والعراق ومصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين قد استمرت إقامتهم في تلك الأمصار الإسلامية الجديدة<sup>(٤)</sup>. وعند مجيء الخلافتين الأموية والعباسية حتى مجيء العصر الحديث بقي أفراد وأحياناً جماعات من هذه البلاد يخرجون من بلادهم إلى الحجاز، وبعضهم يذهبون إلى خارج شبه الجزيرة العربية في الشام، والعراق وفارس، وبلاد مصر والمغرب العربي، والأندلس وغيرها<sup>(٥)</sup>.

أما أحوال التهاميين والسرويين الداخلية فقد مكثوا في أوطانهم تحت سيطرة قبائلهم وشيوخها وأعيانها<sup>(٦)</sup>، لكنهم يختلفون في نفوذهم السياسي واتصالهم بمن

(١) بلاد اليمامة والبحرين من الموضوعات التي لم تُخدم بحثياً في القرون الإسلامية المبكرة الوسيطة وحتى الحديثة إلى منتصف القرن (١٢هـ/١٨م).

(٢) ظهر في اليمن دويلات، وإمارات، وقوى سياسية عديدة سنية وشيعية وغيرها منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى وقتنا الحاضر. ومعظمها درست في كتب ورسائل علمية عديدة، وما زالت تلك الدويلات تستحق مزيداً من الدراسات وبخاصة في صلاتها الحضارية فيما بينها، وصلاتها مع بلدان السروات وتهامة، وبلدان أخرى في شبه الجزيرة العربية.

(٣) انظر تفصيلات أكثر في صفحات سابقة من هذا القسم.

(٤) هجرة السرويين والتهاميين إلى خارج شبه الجزيرة العربية في القرون الإسلامية الثلاثة الأولى، وأثرهم وتأثيرهم في الأوطان الجديدة التي خرجوا إليها موضوع جديد لم يدرس يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو بحوث علمية عديدة.

(٥) إن الباحث في كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيط يجد شذرات متفرقة عن أشخاص أصولهم من أرض السروات وتهامة، عاشوا في مدن وحواضر إسلامية عديدة في شرق العالم الإسلامي وغربه وكان لهم بصمات تاريخية وحضارية في تلك الأوطان. وهذا الموضوع مجال جديد وواسع للدراسة والبحث.

(٦) هناك عدد من الكتب التي أشارت إلى هيمنة القبائل وشيوخها على أوطانهم في السروات وتهامة، والهمداني، وناصر خسرو، وابن الجاور من الذين أشاروا إلى ذلك في مؤلفاتهم.

حولهم. فالبلاد القريبة من اليمن مثل نجران وجازان كانوا على صلات تاريخية وسياسية حربية، وأحياناً حضارية نشطة مع دويلات اليمن المستقلة. بل بعض دويلات اليمن القوية كانت تسعى من وقت لآخر للسيطرة العسكرية على بعض البلدان الجازانية ( المخلاف السليماني ) والنجرانية، لكنها لا تدوم هيمنتها على تلك البلاد، لمعارضة السكان الأصليين، ومحاربتهم وثوراتهم المتتالية ضد تلك القوى الغازية<sup>(١)</sup> .

أيضاً الأجزاء الشمالية في السراة وتهامة. مثل الطائف وما يليها جنوباً، أو جنوبي مكة حتى بلاد قنونا، وبيبه، وحلي كانت هي الأخرى ينالها بعض الأذى من قوى سياسية في مكة والمدينة التي يتولى أمرها الأشراف، ويحظون بالدعم والرعاية من الدويلات الإسلامية الكبرى في العراق، أو مصر، وبلاد الشام وغيرها. ونجد بعض المصادر الحجازية المبكرة والوسيطه تذكر أخباراً كثيرة في هذا الجانب. بل إن طبقات الأشراف في مكة كانوا في صراعات مستمرة على إمارة مكة، وبعضهم يجد الدعم والمساندة العسكرية من السرويين والتهاميين القريبين من بلاد الحجاز، وآخرون يخرجون من بلادهم في الحجاز للاستقرار في مواطن عديدة في الطائف، وسروات غامد وزهران، وبلاد الليث، وبيشة، ووادي قنونا وحلي<sup>(٢)</sup> .

ونجد المصادر التاريخية المبكرة تذكر صراعات سياسية وحروب عديدة بين اليمن والحجاز خلال القرون الإسلامية الوسيطة وبداية الحديثة. وكيف كانت الجيوش تخرج من أوطانها الرئيسية تجاه الحجاز أو العكس فتسلك أجزاء من بلاد تهامة، أو شرق السروات، وأحياناً تعتدي على سكان تلك البلاد وتسخرهم في خدمة أهدافها وتزويدهم بالعدة والعتاد ضد أعدائهم. وبعض القبائل السروية والتهامية تتجاوب مع تلك النداءات، وأخرى تتصدى لمن يعتدي عليها، أو يسعى إلى إرغامها على أمور ضد رغباتها<sup>(٣)</sup> .

(١) من يطالع المصادر الإسلامية المبكرة العامة، وأيضاً الكتب اليمنية وبخاصة الزيدية، أو بعض المصادر الحجازية يجدها مليئة بالتفاصيل التي تشرح محاولات دويلات يمنية إسلامية وسيطة في السيطرة السياسية والعسكرية على أوطان عديدة في جازان ونجران. وهذا الموضوع جديد في باب يستحق أن يدرس في كتب ورسائل عديدة .

(٢) كل هذه النقاط والأمكنة المذكورة في المتن موضوعات جديدة للبحث العلمي أرجو من طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات الحجاز وتهامة والسروات أن يلتفتوا إلى هذه الجوانب العلمية في العصر الإسلامي الوسيط فتدرس دراسة أكاديمية توثيقية .

(٣) من يقرأ مصادر التاريخ اليمنية والحجازية، وبعض المصادر التاريخية العامة يجدها مليئة بأحداث الحروب والصراعات التي جرت بين القوى السياسية في الحجاز واليمن، وكيف كانت بلاد السروات وتهامة ميداناً لتلك الحروب، وما يغل بأهلها وبلادهم من خراب ودمار في عقاراتهم ومواشيتهم وممتلكاتهم وأرواحهم. هذا موضوع جديد لم يدرس دراسة علمية، يستحق أن يوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

أما الأراضي السروية الجبلية الممتدة من سروات ظهران وقحطان إلى الطائف، وما يقع عند سفوحها الغربية فهي بلاد منيعة بصعوبة تضاريسها الجغرافية، وشدة بأس أهلها وشجاعتهم. وقد بقيت طوال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطلة وبداية العصر الحديث متوقعة على نفسها، وقبائل هذه البلاد هي التي تحكّم أرضها، ولا يخضعون لسلطة رئيسية<sup>(١)</sup>، لكنها لا تخلو أحوالهم السياسية والأمنية من صراعات أهلية قبلية فيما بينهم، وهم شبه مستقلين، وإن خرج بعض شيوخهم، أو أعيانهم إلى الحواضر الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة بلاد الحجاز أو غيرها، فذلك لقضاء بعض حوائجهم الحضارية<sup>(٢)</sup>.

٢- إن الناظر في التاريخ الاجتماعي لليمنيين والحجازيين يجد الكثير من العادات، والتقاليد، والأعراف قريبة الشبه من تقاليد وأعراف التهاميين والسرويين. وإذا كنت أشرت في النقطة السابقة إلى صلات سياسية وحرية بين أهل السراة وتهامة وبعض القوى السياسية في الحجاز واليمن، فما من شك أن هناك صلات اجتماعية، فأنواع العمارة متشابهة في البلاد الممتدة من الطائف إلى صعدة وصنعاء، وربما وجد في الطائف أبنية تشبه عمارات المكين. وفي الساحل وتهامة تكاد تكون العمارة واحدة من جنوب مكة إلى جازان وحرص وزبيد والحديدة وعدن.

ففي هذه البلاد البناء الحجري، وأغلب منازل أهل تهامة والساحل كانت من القش، لكن الحواضر والمدن الكبيرة كان فيها أبنية من الطين والحجارة. والوضع نفسه عند أهل الجبال<sup>(٣)</sup>.

أما التركيبة البشرية في عموم شبه الجزيرة العربية وبلاد الحجاز، فالتقائلات هي صاحبة الحل والعقد في بلادهم، وهناك الكثير من القبائل، والعشائر والبطون التي هاجرت من اليمن إلى السروات وتهامة قبل الإسلام وبعده، وبعضها خرجت إلى

(١) هذا ما عكسته عدد من مصادر العصر الإسلامي الوسيط، وكذلك بعض الوثائق التاريخية في بدايات العصر الحديث. وتاريخ هذه البلاد المحلي منذ القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (١٨٠٨م) موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لعدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٢) كانت هذه البلاد الجبلية على صلات مستمرة بالحجاز، وربما خرج بعض أفرادها إلى خارج شبه الجزيرة العربية، للتجارة أو طلب العلم، أو البحث عن سعة في الرزق. والمصادر فقيرة في هذا الجانب، فهي لا توضح لنا بشكل جلي صلات أهالي الجبال السروية من الطائف إلى أبها وسروات قحطان مع غيرهم خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطلة، وإذا كانت هناك إشارة محدودة إلى خروج بعضهم إلى الحجاز، والتقائلات بالمجاورين والحجاج في مكة والمدينة، إلا أن هذا الموضوع مازال بحاجة إلى دراسة علمية رصينة، وقد يظهر في قادم الأيام مخطوطات أو مصادر تثري هذا الموضوع معرفياً.

(٣) تاريخ العمارة من حواضر الحجاز إلى حواضر اليمن الكبرى مرورا ببلدان السروات وتهامة مجال واسع لإصدار الكثير من البحوث العلمية قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطلة وبداية الحديثة. أرجو أن تنال رعاية واهتمام المؤرخين في هذه الأوطان.

أوطان عديدة في شبه الجزيرة العربية وخارجها. وإذا درست تاريخ اللباس والزينة، والطعام والشراب، والألعاب الرياضية، والفنون الشعبية، واللهجات في اليمن وبلاد تهامة والسراة، وأجزاء من أراضي الحجاز فإننا نجد تشابه كبير في تلك البلاد، وهذا مما يؤكد على صلات بعضهم ببعض منذ عصور قديمة وعبر أطوار التاريخ الإسلامي<sup>(١)</sup>. وإذا توقفنا مع الأسماء، والكنى، والألقاب من بلاد اليمن إلى الحجاز، وحواضر وبلدان أخرى في شبه الجزيرة العربية. وكذلك بعض العادات مثل: الأحلاف القبلية، وعادات الزواج، واستقبال الضيوف، أو الحجاج وتوديعهم، أو عادة السماية ( السموة )، أو إعانة الملهوف، أو إعطاء الوجوه، أو الإجارة، أو الأغاني والأهازيج، أو الأحاجي والفكاهة، أو تقاليد الحروب كالهزيمة والانتصار، أو الأشعار أو الكلمات أو المصطلحات. بل من يذهب إلى عدد من حواضر الإسلام القديمة في الشام، وبلدان المغرب والمشرق الإسلامي يجد بعضاً من موروث جنوب شبه الجزيرة العربية قد وصل إلى تلك الأوطان منذ قرون إسلامية مبكرة. والباحث في الأجزاء الساحلية الشرقية للبحر الأحمر ومقارنتها مع سواحل البحر الأحمر الغربية يجد تشابهات كثيرة منذ القدم وبخاصة في بعض المفردات والمصطلحات، وأسماء الأماكن، وبعض الأهازيج والأغاني والأعراف<sup>(٢)</sup>.

٢- بلاد السراة وتهامة أثرت وتأثرت معرفياً وعلمياً ونغوباً وفكرياً وثقافياً. وكما أشرت في سطور سابقة إلى الاختلاف والتباين في الطبيعة الجغرافية ( التضاريس )، فذلك مما أثر على صلات سكان هذه البلاد مع غيرها حضارياً وفكرياً. والمعرفة، والتعليم والتعلم من الميادين التي تعني في هذا المحور. فأعالي السروات من ظهران وقحطان، ومخلاف جرش ( جزء من سراة عسير حالياً ) إلى سراة غامد وزهران حتى جنوب مدينة الطائف. ومن جنوب مكة المكرمة إلى درب بني شعبة ( ساحلياً، وسهول تهامة الداخلية ) ومنحدرات السروات الغربية من رجال ألمع إلى تهامة الطائف جميعها تكاد تكون منسية ومغيبة في كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط حتى بدايات العصر الحديث. وإن كان هناك مصادر قليلة جداً أشارت إلى بعض أعلام الفكر والعلم في هذه

(١) الذاهب اليوم في أرجاء اليمن والسروات وتهامة وجبال الحجاز المطلة على مكة من الشرق والجنوب يجد تقارب الشبه في كثير من الأوضاع الاجتماعية الفردية والجماعية .

(٢) حسب علمي القاصر أن هذه الموضوعات وبخاصة صلات السرويين والتهامين الاجتماعية مع أهل الحجاز وحواضر شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيط. وكذلك أثرها أو تأثيرها ببلدان عديدة خارج شبه الجزيرة العربية مازالت موضوعات بكرة لم تدرس إطلاقاً. والأمل معقود على المؤرخين التهامين والسرويين الحديثين. أو على كليات وأقسام العلوم الإنسانية والتاريخية في جنوبي المملكة العربية السعودية فتدرس هذه الموضوعات الحضارية المهمة الجديرة بالاهتمام والدراسة والتوثيق .



البلاد خلال تلك العصور، أو ذكرت بعض المدن والحواضر الرئيسية، وأحياناً بعض استراحات أو محطات الطرق التجارية، فكل ما تم حفظه وتدوينه لا يعطينا صورة شبه تقريبية عن الحياة العلمية والتعليمية في هذه البلاد السروية والتهامية، ولا نعرف أي شيء عن صلات سكانها العلمية مع غيرهم داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، لكنني أعتقد أن هناك لمحات من الحياة العلمية والفكرية والثقافية، وذلك للبراهين الآتية :

أ- أثناء تجوالي في هذه البلاد وسيري في مناكبها منذ أربعين عاماً وقفت على الكثير من المساجد القديمة التي يعود تاريخها إلى قرون الإسلام الأولى والوسيط، وما زال بعضها ماثلاً للعيان حتى الآن. كما شاهدت الكثير من النقوش والخطوط الصخرية في السروات الممتدة من بلاد قحطان إلى زهران، وبعض القبور مكتوباً على بعض نصابها، أو أجزاءها كتابات أسماء دعاة وأعلام صالحين عندهم بعض العلوم الشرعية واللغوية. وهناك بعض المؤلفات الحجازية واليمانية المبكرة ذكرت أسماء شعراء أو علماء تهاميين وسرويين عاشوا وماتوا في بعض مدن الحجاز واليمن، دون أن نعرف شيئاً عن جهودهم ونشاطاتهم العلمية<sup>(١)</sup> .

ب- لا تخلو كتب التاريخ واللغة والأدب والمعاجم الجغرافية واللغوية من ذكر أعلام سرويين وتهاميين خرجوا من بلادهم إلى حواضر الحجاز أو بعض الأمصار الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، ورووا بعض أشعارهم أو معارفهم وأخبار بلادهم وقبائلهم إلى بعض المؤلفين والمدونين الأوائل لكتب التراث، وبالتالي وصلتنا لمحات من تراث وحضارة هذه البلاد ( تهامة وسراة )<sup>(٢)</sup> .

تبقى البلدان القريبة من اليمن والحجاز، مثل: جازان ( المخلاف السليمانى )، ونجران، والطائف فوضعها عند مدوني التراث أحسن من غيرها. وبلاد المخلاف السليمانى ( جازان ) وبخاصة حواضرها الرئيسية ( جازان، وصيبا، وأبو عريس، وبيش، وضمد )، وإلى حد ما حلي بن يعقوب فقد ظهر فيها علماء وبيوتات علمية وصلنا البعض من تراثهم ومؤلفاتهم في علوم شتى، شرعية، ولغوية، وأدبية وغيرها.

(١) عدد من مؤرخي الحجاز واليمن ذكروا بعض أسماء السرويين والتهاميين المتعلمين الذين ماتوا ودفنوا في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، أو في زيد، وبعض مدن اليمن السروية والتهامية .

(٢) من يطالع كتب التاريخ العامة كالطبري، وابن الأثير، وابن خلدون. وبعض كتب الأنساب، أو الأعلام والطبقات، أو المعاجم اللغوية مثل ابن منظور، أو المعاجم الجغرافية كالبلدان لياقوت الحموي، أو معجم ما استعجم للبيكري، أو بعض كتب الجغرافيا والرحالة وغيرها تحتوي على شذرات متفرقة عن أخبار وأحداث وروايات وأشعار وقصص تاريخية عن بلاد السراة وتهامة، ورواياتها أعلام سرويين وتهاميين تركوا بلادهم وذهبوا إلى حواضر الإسلام الكبيرة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ومن يتوقف مع سيرة كل عالم أو شاعر، أو أديب، أو صاحب علم وفكر وثقافة وبيان من هذه البلاد يجد بعضهم لم يغادروا بلادهم وإنما تعلموا على شيوخهم المحليين، وهناك شريحة أخرى هاجروا لطلب العلم في مدن اليمن الكبرى، وفي الحجاز، وأمصار إسلامية أخرى عديدة خارج شبه الجزيرة العربية، ومنهم من عاد إلى وطنه لخدمة أهله، وآخرون مكثوا في المدن والأمصار التي ذهبوا إليها في داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها<sup>(١)</sup>.

كما احتضنت الطائف الكثير من العلماء الذين وفدوا إليها من مدن عديدة في شبه الجزيرة العربية أو من خارجها، وكان لوجود مسجد عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) في الطائف دور مؤثر في نشاط العلم والتعليم في هذه الحاضرة. وكان بعض العلماء، والأمراء، والخلفاء، والوزراء يأتون إلى الطائف لزيارتها والاستجمام فيها لبعض الوقت. ومنهم من عاش ومات فيها، ومن أهل الطائف وبخاصة أهل العلم والأدب من ذهب إلى الحرمين للمجاورة، وآخرون خرجوا إلى مراكز الخلافة الإسلامية في عصر الدولة العباسية، أو الفاطمية، أو الأموية في الأندلس. والباحث في بعض كتب الأعلام يجد أسماء سريين وطائفيين سكنوا وماتوا في العراق، أو الشام، أو مصر، وبلاد المغرب والأندلس وغيرها<sup>(٢)</sup>.

أما بلاد نجران فكانت على صلات سياسية وعسكرية وأحياناً علمية مع الدولة الزيدية في صعدة وصنعاء. وإذا كانت العلاقات بين الطرفين عدائية وحربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة حتى العصر الحديث، إلا أن الناحيتين لا تخلو من صلات علمية وأدبية. ونجد في المؤلفات الزيدية صفحات كثيرة عن الصراعات العقيدية والفكرية وما نتج عنها من رسائل، وخطابات، وقصائد شعرية مطولة، ومعارف تراثية وحضارية<sup>(٣)</sup>.

٤- إن أرض تهامة والسرارة غنية باقتصادها، فهي مليئة بالثروات النباتية والحيوانية، ومياهاها وفيرة، ومزروعاتها كثيرة، وأسواقها الأسبوعية متعددة ومتفاوتة في

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث والدراسات التي أشارت إلى تاريخ العلم والعلماء في المخلاف السليماني، وبعض هذه البحوث ذكرت بعض العلماء الذين هاجروا خارج بلادهم لطلب العلم، وكيف أثروا وتأثروا من البلدان التي ذهبوا إليها.

(٢) انظر بعض كتب التراجم والأعلام للخطيب البغدادي، وابن عساكر، والذهبي، وابن خلكان وغيرهم.

(٣) المصادر الزيدية مليئة بهذا النوع من التراث والمعارف وبخاصة ما يتعلق بالنجرانيين وبلادهم خلال القرون الإسلامية الوسيطة. وبلاد نجران في التراث الزيدي المخطوط والمطبوع موضوع جديد لم يدرس يستحق أن يكون عنواناً لعدد من الكتب والرسائل العلمية.

مساحاتها، وثقلها التجاري<sup>(١)</sup>. وفي بحوث عديدة أشرت إلى مسالكها التجارية الرئيسية التي تربط أجزائها مع مدن وحوضر رئيسية في شبه الجزيرة العربية. ومن أهمها الدروب السروية والتهامية التي تصل بين الحجاز واليمن، أو وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها. وجميع تلك الطرق ذكرت أطوالها، ومحطاتها عند معظم الجغرافيين والرحالة الأوائل<sup>(٢)</sup> كانت مسلوكة بالحجاج والمسافرين وهي من المنافذ الرئيسية لاتصال أهل السراة وتهامة ببلدان العالم الإسلامي داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها<sup>(٣)</sup>.

هناك عدد من الرحالة والجغرافيين الأوائل الذين أشاروا إلى أهمية بلاد السراة وتهامة اقتصادياً لبلاد الحجاز<sup>(٤)</sup>. وأفضلهم الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي وصف السرويون، وسماهم بـ (السيرو) نسبة إلى بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى بلاد عسير (مخلاف جرش قديماً)، فقال عنهم: "من لطيف صنع الله، عز وجل، لهم فيه اعتناء كريم منه سبحانه بحرمه الأمين، إن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة، كأنها مضافة لسراة الرجال، على ما أخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن أبي الصيف<sup>(٥)</sup>. فاشتق الناس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم<sup>(٦)</sup>، وهم قبائل شتى كجبيلة وسواها<sup>(٧)</sup>، يستعدون للوصول إلى هذه

(١) الأراضي السروية والتهامية مؤهلة اقتصادياً لما تشتمل عليه من موارد طبيعية متنوعة. وإذا كانت تضاريسها وعرة، فهي متنوعة، وفيها جميع مكونات الحياة الكريمة، لكنها لم تزل رعاية الباحثين والمؤلفين القدماء، وهذا ما جعلها منسية أو شبه مهملة في كتب التراث الإسلامي، مع أنها مستوطنات بشرية قديمة استمرت فيها الحياة السكانية على مر العصور التاريخية. للمزيد من التفاصيل عن تاريخ هذه البلاد انظر بعض بحوثي ومؤلفاتي عنها خلال الأربعين عاماً الماضية، وجميعها مطروحة ورقياً ورقمياً على الرابط الآتي (Prof-ghithan.com) .

(٢) للمزيد عن تلك الطرق عند الرحالة والجغرافيين انظر صفحات سابقة في هذا القسم، وانظر أكثر في بعض أجزاء كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٢ مجلداً) .

(٣) انظر في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، تفصيلات عن الحياة التجارية في السروات وتهامة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ج ١٩، ص ١٦٢-٢٠، ص ١٢٢ .

(٤) من أولئك الرحالة الهمداني، وناصر خسرو، وابن جبير، وابن الجاور، وابن بطوطة، خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى الثامن الهجري (العاشر إلى الرابع عشر الميلادي). فقد فصلوا الحديث عن زيارة السرويين لبلاد مكة وتمويلها بكل ما تحتاج من الحبوب والمزروعات والمواشي وغيرها. وبقيت بلاد تهامة والسراة تقوم بهذه المهام خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. للمزيد انظر بعض أقوال هؤلاء الرحالة والجغرافيين في صفحات متفرقة من هذا الجزء .

(٥) هذا القول من ابن جبير يؤكد على أن كثيراً من الرحالة وعلماء المسلمين الأوائل كانوا يدونون شيئاً من تاريخ تهامة والسراة عن طريق السماع والمقابلة لبعض الأعلام من هذه البلاد الذين كانوا يلتقون بأولئك العلماء في الحجاز أو حواضر العالم الإسلامي الأخرى .

(٦) مازال هذا الاسم والاشتقاق يطلق عليهم وعلى بلادهم حتى وقتنا الحاضر، فهناك سرورات الطائف، وسراة غامد وزهران، وسراة الحجر، وسراة عسير، وسراة قحطان، وهكذا حتى قعر اليمن .

(٧) هناك عشرات القبائل، والعشائر، والفخوذ في السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة وصنعاء في اليمن .

البلدة المباركة .....، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز. فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه، يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق. فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش (١) .

ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأتعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويباعونهم به ويشأرونهم (٢)، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجذب ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم، ويوصلهم بها تخلص بلادهم وتقع البركة في أموالهم، فمتى قرب الوقت ووقعت منهم بعض غفلة في التأهب للخروج اجتمع نساؤهم فأخرجتهم (٣). وكل هذا لطف من الله تعالى لحرمة البلد الأمين " .

وبلادهم على ما ذكر لنا خصيصة متسعة كثيرة التين والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات، وقد اعتقدوا اعتقاداً صحيحاً أن البركة كلها في هذه الميرة التي يجلبونها، فهم من ذلك في تجارة رابحة مع الله عز وجل " .

والقوم عرب صرحاء جفاة أصحاب، لم تغدّهم الرقة الحضرية ولا هدّبتهم السير المدنية ولا سدّدت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة لأتذنين بجوارها متعلقين بأستارها، فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها. وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب وتفتجر لها الأعين الجوامد فتصوب (٤). فترى الناس حولهم باسطي أيديهم

(١) هذه النصوص تؤكد على الثراء الاقتصادي الذي تتمتع به بلاد السراة، وهي كذلك، كما أنهم كانوا على صلات مستمرة مع أهل الحجاز، وهذا ما أثبتته ابن جبير خلال القرن السادس الهجري ( الثاني عشر الميلادي ) .

(٢) هذه النصوص التي سطرها ابن جبير تعكس عمق وقوة الصلات بين أهل مكة وأهل السراة. وليس السرو المذكورون في هذا الرصد مقصوراً على الطائف وما حولها، وإنما هم السرويون الذين يقطنون بلاد السراة من الطائف إلى سروات نجران وعسير .

(٣) نستج من هذا الكلام سلامة العقيدة وصفاتها عند أهل السراة، فهم يدركون أن بيت الله الحرام مهوى كل مسلم مخلص في أقواله وأعماله، كما يعلمون أن الرزق والبركة من رب الكعبة المشرفة في الأراضي المقدسة ( مكة المكرمة ) .

(٤) فتصوب : مضارع صاب المطر، أي انصب. ويتضح من هذا الشرح صدق النية والعقيدة عند أهل السراة،

مؤمنين على أدعيتهم متلقين لها من السننهم، على أنهم طول مقامهم لا يتمكن معهم طواف ولا يوجد سبيل إلى استلام الحجر<sup>(١)</sup>.

وإذا فتح الباب الكريم فهم الداخلون بسلام، فتراهم مرتبطون، يتصل منهم علي هذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من ذلك، والسلاسل منهم يتبع بعضهم بعضا، وربما انفصمت بواحد منهم، يميل عن المطلع المبارك إلى البيت الكريم، فيقع الكل لوقوعه، فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدي إلى الضحك<sup>(٢)</sup>.

"ولا ملبس لهم سوى أزروسخة أو جلود يستترون بها؛ وهم مع ذلك أهل بأس ونجدة، لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطنين<sup>(٣)</sup> لا تفارقهم في أسفارهم، فمتى رحلوا إلى الزيارات هاب أعراب الطريق المسكون للحجاج مقدمهم وتجنبا اعتراضهم وخلوا لهم عن الطريق، ويصحبهم الحجاج الزائرون فيحمدون صحبتهم. وعلى ما وصفنا من أحوالهم فهم أهل اعتقاد للإيمان صحيح، وذكر أن النبي (ﷺ)، ذكرهم وأثنى عليهم خيرا، وقال: "علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء" وكفى بأن دخلوا في عموم قوله، (ﷺ): "الإيمان يمان" إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في اليمن وأهله<sup>(٤)</sup>.

"وذكر أن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، كان يحترم وقت طوافهم ويتحرى الدخول في جملتهم تبركا بأدعيتهم، فشأنهم عجيب كله<sup>(٥)</sup>.

"وشاهدنا منهم صبياً في الحجر قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص، فكان يقول له: "قل هو الله أحد" فيقول الصبي "هو الله أحد"، فيعيد عليه المعلم، فيقول له: "ألم تأمرني بأن أقول: هو الله أحد؟ قد قلت". فكايد في تلقينه مشقة، وبعد لأي ما علقت بلسانه. وكان يقول له: "بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله". فيعيد عليه المعلم، ويقول له "لا تقل: والحمد لله، إنما قل: الحمد لله". فيقول الصبي: "إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، أقول: والحمد لله، للاتصال، وإذا لم أقل: بسم الله، وبدأت قلت: الحمد لله". ففجبتنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم. وأما فصاحتهم فبديعة جداً، ودعاؤهم

حتى وإن كانوا يجهلون بعض الواجبات والأركان والشروط في عباداتهم الدينية. وقد عاصرت بعض آبائي وأجدادي في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) الذين كانوا يجهلون بعض الأمور الدينية في صلواتهم وصيامهم، لكنهم كانوا صادقين مؤمنين في أقوالهم وأفعالهم، ودائماً هم متوكلون على الله.

(١) شاهدت هذا عندما حججت مع بعض الرجال والنساء الذين ذهبوا للحج عام (١٩٩٢هـ/١٩٧٣م) حيث كانوا مترابطين ومتماسكين بنية صادقة أثناء الطواف بالبيت العتيق.

(٢) القطنون: بائعو القطن. أو الذين يندفون القطن.

(٣) نستخلص من هذه النصوص لمحات من تاريخهم الاجتماعي والديني، وابن جبير يؤكد على صلاح نيتهم حتى وإن جهلوا بعض أمور دينهم.

كثير التخشيع للنفوس<sup>(١)</sup>، والله يصلح أحوالهم وأحوال جميع عباده بمنه " .

### (\* من هذا الوصف الذي دونه ابن جبير نستنتج عدة أمور، هي:

أ- صلاح عقيدة أهل السراة، فهم حريصون على زيارة البيت الحرام، وأداء شعائر الحج والعمرة، وإذا كانوا يجهلون بعض الشروط الخاصة بزيارة الكعبة، إلا أنهم يحملون قلوباً صادقة، وعقيدة خالصة لله. وقد رأيت شيئاً مما ذكره ابن جبير في العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) عندما يأتون لزيارة الكعبة فهم يتماسكون بالأيدي، وأحياناً يربطون بعضهم ببعض حتى لا يتفرقوا ويضيع بعضهم الآخر<sup>(٢)</sup> .

ب - ما يجلبه أهل السراة من تجارات وأطعمة ينشط البيع والشراء في الحرم، فهم يبيعون أو يقيضون ما عندهم بسلع أخرى، بعضها من داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها. وهذه الصلات التجارية يتولد عنها تعارف اجتماعي وثقافي ومعرفي، ومن المؤكد أن أهل السراة وتهامة يقابلون مسافرين وحجاجاً وتجاراً جاءوا إلى الحرم من بلدان وأصقاع عديدة، ولا يستبعد أن يدخلوا معهم في صلات وصادقات تستمر لأزمنة عديدة<sup>(٣)</sup> .

ج - هذا ابن جبير الذي جاء من الأندلس وبلاد المغرب يصف شيئاً من حياة السرييين خارج بلادهم، ومن المؤكد أن غيره، وهم كثيرون، شاهدوا ما رآه هذا الرحالة، ونقلوا أخبارهم إلى بلدانهم الرئيسية. وكذلك السرييون أثروا وتأثروا بما عاصروه وعرفوه وشاهدوه في الحرمين<sup>(٤)</sup> .

(١) نخلص من هذا الرصد الذي شاهده ودونه الرحالة ابن جبير عدة أمور، مثل: (١) بلاغة وفصاحة أهل السراة، وذكر أمثلة من تلك النباهة والبلاغة. كما أن هناك مصادر تراثية قديمة أشارت إلى بلاغتهم وفصاحتهم، والحسن الهمداني من أولئك الذين شهد لهم ببلاغة القول وفصاحته. (٢) يتضح أن السرييين والتهاميين يذهبون إلى مكة للحج والعمرة، كما أنهم يجلبون معهم أحياناً أولادهم حتى يتلقوا بعض العلوم والمعارف من علماء الحجاز، وأول ما يحرصون عليه هو تعلم أمور دينهم، كالصلاة، والصيام وغيرها. (٣) إن الحجاز وبخاصة مكة المكرمة مركز حضاري ومعرفي كبير ومهم، ويحرص كل من يذهب إلى المسجد الحرام أن يتعلم من علماء الحرم .

(٢) هذه الطريقة ليست خاصة بالسرو أو السرييين فقط، وإنما كثير من زوار الحرم يفعلون ذلك حتى الآن، وبعضهم من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خوفاً من التفرق ويفقد بعضهم بعضاً أثناء زحام الناس حول الكعبة أو في الحرم .

(٣) نجد بعض كتب التراث تذكر روايات وقصصاً تعكس صوراً من الصلات والتعارف الذي يحدث في الحرم أو مكة بين من جاء من خارج شبه الجزيرة العربية أو من قدم من داخلها إلى الحجاز وما يجري بينهم من ترابط وعلاقات حضارية .

(٤) ذكرت في أكثر من حاشية ومكان في بعض بحوثي إلى أهمية دراسة وتوثيق صلات أهل السراة وتهامة غيرهم في الحجاز، أو اليمن، أو شرق إفريقيا، أو بلاد البحرين واليمامة. كما أن بعضهم هاجروا من بلادهم إلى بلدان عديدة في الكرة الأرضية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة، وهذا موضوع مهم وجديد في باب يستحق أن يدرس في دراسات وكتب عديدة .

## رابعاً: لمحات من علاقات السرويين والتهاميين بغيرهم من عام (١٢٠٠-١٣٤٠هـ / ١٨٧٥-١٩٢١م) :

بقيت أوضاع التهاميين والسرويين الداخلية هي الأحوال نفسها التي عرفوها وعاشوها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه وحتى بدايات العصر الحديث<sup>(١)</sup>. ومنذ قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية (١١٥٧-١٢٣٣هـ / ١٧٤٤-١٨١٨م) بدأت أحوال شبه الجزيرة العربية تتغير سياسياً وعقدياً وحضارياً<sup>(٢)</sup>.

وأهل السراة وتهامة، من مكة والطائف حتى جازان ونجران، دخلوا تحت حكم الدولة السعودية الأولى، ووصلت دعوتها الإصلاحية إلى هذه البلدان الجنوبية، وظهر في عسير إمارة موالية للدولة السعودية، هي إمارة المتاحمة (١٢١٥-١٢٣٤هـ / ١٨٠٠-١٨١٨م)<sup>(٣)</sup>.

هذه الإمارة العسيرية مدت نفوذها على أجزاء كثيرة من تهامة والسراة، وكان لها صلات جيدة وقوية مع أئمة الدولة السعودية الأولى، ودخلت في حروب وصراعات مع بعض القوى السياسية في اليمن، والأمراء الأشراف في الحجاز الذين كانوا يآتمرون بأمر الإمبراطورية العثمانية التي مدت نفوذها على أجزاء كبيرة في شبه الجزيرة العربية، وأخيراً استطاع العثمانيون القضاء على الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام (١٢٣٣هـ / ١٨١٨م)، وإمارة المتاحمة في عسير عام (١٢١٥-١٢٣٤هـ / ١٨٠٠-١٨١٨م)<sup>(٤)</sup>.

دخلت بلاد السروات وتهامة تحت سيطرة عدد من القوى المحلية والخارجية، فالأمراء اليزيديون، أو أمراء الإمارة العائضية، التي أخذت من بلدة السقا مقراً لها<sup>(٥)</sup>.

(١) أشرت في صفحات سابقة إلى نماذج مختصرة من تلك الحياة، وما زال تاريخهم خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه مجالاً رحباً لإنجاز عدد من البحوث العلمية الجديدة في موضوعاتها .

(٢) هناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ وحضارة الدولة السعودية الأولى . للمزيد عن تاريخ إمارة المتاحمة في عسير انظر أحمد يحيى أحمد آل فائع. دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها (١٢١٥-١٢٣٣هـ / ١٨٠٠-١٨١٨م) ( الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ) ص ١٤١-١٤٢. وتاريخ الدولة السعودية الأولى وإمارة المتاحمة وبخاصة في الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية والتعليمية والعلمية مازالت تحتاج إلى دراسات علمية موسعة وموثقة. أمل أن نرى بعض الباحثين الجادين يقومون بدراسة هذه الموضوعات في هيئة بحوث أو رسائل علمية. كما أن هناك مئات البحوث والكتب باللغة العربية والأجنبية فصلت الحديث عن التاريخ السياسي للدولة السعودية الأولى .

(٤) انظر أحمد آل فائع، ص ١٤١ وما بعدها. وهناك كتب ورسائل علمية عديدة فصلت نشأة وتطور ثم سقوط الدولة السعودية الأولى على يد الإمبراطورية العثمانية عام (١٢٣٣هـ / ١٨١٨م)، وما زال هناك وثائق جديدة في الإرشيف العثماني باللغة العثمانية تحتوي على تفصيلات لم تشر عن تاريخ وحضارة الدولة السعودية الأولى. أمل أن يتم العثور عليها وترجم ثم تدرس وتحقق .

(٥) بلدة السقا : تقع في سروات حاضرة أبها من الناحية الغربية، وما زالت تحمل الاسم نفسه حتى الآن .

تمد نفوذها أحياناً إلى الطائف ومكة وإلى جازان ونجران، وفي بعض الأوقات وبخاصة في عهد الأمير محمد بن عائض (١٢٧٣-١٢٨٩هـ/١٨٥٦-١٨٧٢م) مدت نفوذها إلى بعض حواضر اليمن الرئيسية مثل زبيد والحديدة وغيرها<sup>(١)</sup>. وهناك قوى أخرى دخلت في صراعات عديدة مع إمارة آل عائض، فالأشراف في الحجاز، ومعهم قوات وطواير عثمانية يسعون إلى اقتطاع أجزاء من شمال تهامة والسراة، وغالباً يمتد نفوذهم جنوباً إلى سروات غامد وزهران، وبعض أجزائها التهامية مثل بلدي قلوة والمخواة. أما الأجزاء الساحلية من مكة إلى القنفذة وأحياناً حلي والبرك فتدخل تحت سيطرة الأشراف والعثمانيين في الحجاز، وأحياناً أخرى تمتد الإمارة العائضية نفوذها على تلك البلاد، لكن الحرب كانت سجالات بين آل عائض والأشراف ومن ورائهم القوات العثمانية على المناطق المتوسطة في السروات وتهامة مثل بلاد غامد وشمران وبنو عمرو وبنو شهر في السراة، والليث والقنفذة وحلي والبرك في تهامة<sup>(٢)</sup>.

أما أجزاء السراة وتهامة الجنوبية فلم تخل أيضاً من صراعات داخلية وخارجية. فالأئمة الزيدية في اليمن كانوا يسعون طوال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة إلى السيطرة على منطقة نجران، وكانت الحروب مستمرة بين النجرانيين والزبيديين، فالزبيديون يمدون نفوذهم على نجران، لكنهم لا يقدرون على الاحتفاظ به فترة طويلة، وذلك لمعارضة أهل البلاد النجرانية للحكم الزيدي<sup>(٣)</sup>. وأيضاً الدولة الزيدية كانت تسعى إلى مد نفوذها على بعض الأجزاء التهامية في المخلاف السليماني (منطقة جازان)، مع أن في جازان إمارات محلية ودائمة في حروب أهلية مستمرة<sup>(٤)</sup>. والإمارة العائضية كانت في صراعات مستمرة مع إمارات جازان المحلية، وأحياناً مع الأئمة الزيدية الذين يسعون من وقت لآخر للسيطرة على أجزاء متفرقة في بلاد جازان ونجران<sup>(٥)</sup>.

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث التي فصلت الحديث عن التاريخ السياسي لإمارة آل عائض، ومن الكتب الجيدة التي وثقت صفحات من تاريخها كتاب علي أحمد عسيري. وهناك رسائل علمية وبحوث أخرى درست تاريخ هذه الإمارة، وما زالت أوضاعها الحضارية (الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والثقافية) تستحق أن يصدر عنها بحوث علمية عديدة.

(٢) هناك بعض البحوث التي أشارت إلى تلك الحروب والصراعات خلال القرن (١٣هـ/١٩م). وما زال هناك الكثير من الوثائق العثمانية غير المنشورة التي تحتوي على تفصيلات عن تاريخ هذه البلاد، ولا تخلو تلك المصادر من معلومات حضارية جيدة.

(٣) المصادر الزيدية مليئة بالتفصيلات عن الحروب بين الزبيديين والنجرانيين. وهذا الموضوع لم ينل حقه من البحث والدراسة، ويستحق أن يدرس ويحلل في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٤) هناك مصادر عديدة جازانية ويمينية وثقت الكثير من التاريخ السياسي في منطقة جازان منذ القرن (١١هـ-١٤هـ/٢٠م). وما زالت بلاد جازان بحاجة إلى دراسة أطول وأعمق خلال هذه الفترة.

(٥) هناك بعض البحوث التي أشارت إلى تلك الصراعات، لكن هذه الصلات السياسية والحربية ما زالت



جاء بعد إمارة آل عائض النفوذ العثماني السياسي والعسكري الذي سيطر على بلاد السروات وتهامة حوالي نصف قرن (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م). ولن أفصل الحديث عن تاريخ هذه القوى العثمانية الخارجية وسيطرتها على بلاد السراة وتهامة. لكن كان لها تأثير كبير في باب الصلات الداخلية والخارجية<sup>(١)</sup>. وكانت في حروب مستمرة مع القبائل الداخلية، وفي الوقت نفسه مع بعض القوى السياسية المحلية في البلاد السروية والتهامية، أو في بلاد اليمن. ففي جازان ظهرت إمارة الأدارسة (١٣٢٦-١٣٤٩هـ/١٩٠٨-١٩٣٠م) التي كانت في عداوة مستمرة مع الجيوش العثمانية ممثلة في متصرفية عسير بمدينة أبها<sup>(٢)</sup>. وفي الوقت نفسه كان هناك حروب مستمرة بين العثمانيين والأئمة الزيدية في اليمن، وإذا كانت اليمن وتهامة والسراة تحت نفوذ الإمبراطورية العثمانية، إلا أن الأوضاع السياسية كانت غير مستقرة والحروب سجال بين العثمانيين وتلك القوى المحلية<sup>(٣)</sup> واستمر هذا الوضع حتى انسحاب الجيوش العثمانية من شبه الجزيرة العربية، وعادت بلاد تهامة والسراة تحت حكم شيوخها وأعيانها حتى دخولها تحت نفوذ الدولة السعودية الحديثة ابتداءً من عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)<sup>(٤)</sup>

تستحق دراسات أطول وأوسع. أمل أن نرى بعض المؤرخين الجادين يتولون هذا الميدان ببحوث علمية نوعية: كما إن إمارة آل عائض (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٢٣-١٨٧٢م). دخلت في حروب وصراعات محلية مع عدد من قبائل السروات وتهامة. وهذا الموضوع مهم وجديد في بابه يستحق أن يدرس في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية.

(١) تاريخ السروات وتهامة في عصر النفوذ العثماني الأخير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) موضوع جديد في ميدانه، وإن كان هناك دراسات عامة في هذه الفترة عن شبه الجزيرة العربية، لكن الموضوع في زمانه ومكانه لم يدرس ويستحق أن يبسط في بحوث وكتب عديدة. وما زال هناك وثائق عثمانية بالآلاف تدور في فلك هذه البلاد، ويجب جمعها ثم ترجمتها وتحقيقتها ودراستها دراسة علمية رصينة وحيادية.

(٢) إمارة الأدارسة في جازان والنفوذ العثماني في السروات وتهامة موضوعات مهمة للبحث والدراسة. كما أن هناك بعض القوى الأجنبية في تلك الفترة مثل إيطاليا وبريطانيا وغيرها كانت على اتصال سياسي وعسكري مع الإمارة الإدريسية والقوى العثمانية وبخاصة على شواطئ البحر الأحمر الشرقية، الممتدة من القنفذة إلى جازان. وكل هذه الموضوعات صدر عنها بعض البحوث المحدودة لكن ما زال هناك وثائق عثمانية وعربية وأجنبية تحتوي على تفصيلات عن تاريخ البلاد التهامية من مكة إلى جازان، وهي جديرة بالجمع والترجمة ثم الدراسة والتحليل.

(٣) أشرت في حاشية سابقة إلى أهمية دراسة السروات وتهامة في عصر النفوذ العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ). والتاريخ السياسي المحلي في هذه البلاد لم يدرس بشكل جيد وعلمي، مع أن هناك الكثير من الوثائق العربية المحلية التي تعكس شيئاً من هذا التاريخ. أمل من جامعات جنوب المملكة العربية السعودية ممثلة في مراكزها وأقسامها العلمية المتخصصة أن تلتفت لهذا الميدان المهم فتجمع الوثائق العربية وغير العربية ثم تدعم الباحثين والمؤرخين على دراستها دراسات علمية حيادية ونزيهة.

(٤) من خلال رحلاتي واطلاعي على الكثير من المصادر وأيضاً سماعي من الرواة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أقول إن تاريخ القبائل في بلاد السراة وتهامة منذ نهاية حكم متصرفية عسير وامتداد حكم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى هذه البلاد الجنوبية السعودية ميدان بكر لم يدرس دراسة علمية عميقة وحيادية. أمل من طالبات وطلاب الدراسات العليا، ومن أساتذة قسم التاريخ في جامعات الملك

كان لا بد من رصد هذه اللحمة السياسية والعسكرية التي مرت على السروات وتهامة من عام (١٢٠٠ - ١٣٤٠هـ / ١٨٧٥ - ١٩٢١م) حتى نعرف صوراً من الصلات الحضارية بين السرويين والتهاميين مع غيرهم من الأمم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وسوف أدرج شيئاً من تلك العلاقات في عدد من المحاور على النحو الآتي:

## ١- الصلات السياسية والعسكرية :

أهل تهامة والسراة لم يختلفوا كثيراً في تركيبتهم السكانية والإدارية، فالقبائل بقيت هي صاحبة السلطة العليا على بلادها، وشيوخها وأعيانها هم أصحاب النفوذ الكامل على أوطانهم. لكن ظهور الدعوة الإصلاحية في نجد، واتحادها مع أئمة آل سعود الأوائل، ثم قيام الدولة السعودية الأولى وامتداد نفوذها على معظم شبه الجزيرة العربية جعلت التهاميين والسرويين يؤثرون ويتأثرون، وذلك عندما سمعوا بظهور هذه الدولة ودفاعها عن هذه الدعوة المجددة<sup>(١)</sup>. وتذكر الوثائق والمصادر خروج بعض الأفراد من بلاد عسير، وجازان، وسروات وتهائم أخرى متجهين نحو الدرعية في نجد حتى يقفوا على أخبار هذه الدعوة الإصلاحية وربما يستفيدوا منها معرفياً وحضارياً. وكان من ثمار تلك الهجرة أن وجدوا دعوة دينية مجددة، فتعلموا على أيدي علمائها، والتقوا بحماتها من أئمة آل سعود الذين رحبوا بهم، ودعموهم، ثم أعادوهم إلى بلادهم من أجل نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية السلفية في بلادهم، وأيضاً العمل على توحيد أوطانهم عسكرياً. وكان من ثمار ذلك قيام إمارة آل المتحمي في بلدة طيب بسروات عسير في حاضرة أبها<sup>(٢)</sup>.

والتاريخ العسكري والسياسي لإمارة المتاحمة جرى تفصيله وتوثيقه في عدد من البحوث والكتب والدراسات العلمية<sup>(٣)</sup>. ولن أخوض في هذا الجانب، لكن من يستقرئ الامتداد السياسي والعسكري لهذه الإمارة الحديثة يجدها جندت معظم قبائل السراة وتهامة في ولائها ودفاعها عن مبادئ الدعوة الإصلاحية، والدولة التي تحميها، الدولة السعودية الأولى. كما وفد على منطقتهم جيوش وعناصر بشرية متعددة ومتنوعة في

خالد، وجازان، ونجران، وبيشة، والباحة أن يعكفوا على دراسة هذا الموضوع، لأنه جديد في بابه، ويستحق العناية البحثية التي تشير إلى بداية الحكم السعودي الحديث على هذه البلاد العربية المجددة.

(١) هناك مئات الدراسات باللغة العربية ولفات أخرى درست ووثقت ظهور الدولة السعودية الأولى ودفاعها عن الدعوة الإصلاحية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٢) مازالت بلدة طيب تحمل الاسم نفسه في سروات أبها قريباً من منتجع السودة. وهي إحدى قرى قبائل ربيعة ورفيدة العسيرة. وما زال آل المتحمي هم شيوخ هذه القبيلة حتى الآن (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م) .

(٣) انظر عن هذه الإمارة في كثير من المصادر والمراجع المطبوعة والمنشورة والمحفوظة في مكتبات عربية وأجنبية عديدة .

انسابها، ومواقعها الجغرافية الرئيسية من أجل مساندة هذه الإمارة الوليدة التابعة لحكومة الدولة السعودية الأولى. وتشير المصادر والوثائق إلى أسماء بعض القادة، والوجهاء، والعلماء، والتجار الذين جاءوا من بلاد نجد لنصرة ومساندة هذه الإمارة. وفي الوقت نفسه كانت الإمبراطورية العثمانية هي حاكمة العالم الإسلامي، وصاحبة النفوذ على بلاد الحرمين، وحاكم مصر محمد علي باشا هو الذي يمثل الإمبراطورية العثمانية في شبه الجزيرة، فكان عليه أن يتصدى للدولة السعودية الأولى، ولإمارة المتاحمة التابعة لها في منطقة عسير، وبالتالي استمر في إرسال الجيوش العثمانية إلى الحجاز، ونجد، وتهامة والسراة، واستطاع في نهاية المطاف أن يقضي على حكومة آل سعود الأوائل عام (١٢٣٣هـ/١٨١٨م)، وعلى إمارة المتاحمة في بلاد تهامة والسراة.

هذه الأحداث السياسية والعسكرية دفعت بعناصر بشرية داخلية وخارجية يصلون إلى بلاد السراة وتهامة، وبدأ سكان البلاد المحليين يدخلون في علاقات وصلات مع تلك العناصر، وقد ألفوا وساندوا إمارة المتاحمة ومن ساندتهم وخالفهم من بلاد نجد، لكنهم لم يألفوا ويقبلوا هذه العناصر الأجنبية التي جاءت من خارج شبه الجزيرة وبخاصة العثمانيين ( الأتراك )، والمصريين، ومن كان يرافقتهم من شعوب إفريقيا، وآسيا، وأوروبا<sup>(١)</sup>.

بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، وإمارة المتاحمة دخلت بلاد السراة في وضع سياسي وعسكري آخر، فظهرت إمارات محلية في السراة وتهامة، وكانت في صراع دائم مع بعضها البعض، أو مع بعض القوى السياسية الأخرى في اليمن والحجاز. وبقي العثمانيون هم الذين يحركون تلك الصراعات والنزاعات المحلية حتى ثمانينيات القرن (١٣هـ/١٩م)، ثم استولوا عسكريا وسياسيا على بلاد السراة وتهامة حوالي خمسة عقود، واستنتج من هذا التاريخ السياسي والعسكري خلق صلات بين التهاميين والسرويين مع غيرهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومن تلك الصلات ما يلي:

١. تحريك الجيوش والقوى السياسية والعسكرية من خارج السراة وتهامة إلى داخلها جعل أهل البلاد يشاهدون الكثير من التحولات السياسية والحضارية. فنجد أن العثمانيين الذين جاءوا إلى بلاد عسير وما جاورها

(١) جل جيوش الدولة السعودية الأولى من عرب شبه الجزيرة العربية سواء من بلاد نجد أو غيرها من الأوطان العربية الداخلية. أما جيوش الدولة العثمانية، أو قوات محمد علي باشا التي قضت على الدرعية والدولة السعودية الأولى وإمارة المتاحمة في حاضرة أبها فكانوا خليطا من بلدان عديدة في القارات الثلاث (آسيا، وإفريقيا، وأوروبا)، وبالتالي فإن بلاد السراة وتهامة في تاريخها الحديث لم تعرف مثل هذه العناصر الخارجية الدخيلة، وربما جاءت عناصر غير عربية من خارج شبه الجزيرة العربية في القرون الإسلامية المبكرة والوسيط، لكنها لم تكن بهذه الأعداد الهائلة التي دخلت بلاد السراة وقضت على إمارتها المحلية.

أحضروا معهم معدات عسكرية متنوعة لم يعرفها أهل البلاد، ثم إنهم استولوا على الكثير من أموال السكان، ودخلوا في نسيج المجتمع حتى أن بعضهم صار له صداقات وعلاقات وربما زواج واستيطان في البلاد. كما أخذوا بعض أعيان وأمراء وشيوخ وعلماء البلاد رهائن وتم نقلهم إلى مصر واسطنبول، وبعضهم مات هناك، وآخرون عادوا إلى بلدانهم بعد سنوات عديدة<sup>(١)</sup>.

٢. من يقرأ تفاصيل الحياة السياسية والحربية في أراضي السروات وتهامة خلال مائة وأربعين عاماً (١٢٠٠-١٣٤٠هـ/١٨٧٥-١٩٢١م) يجد أن تاريخ الصلات السياسية والعسكرية حاضر على البلاد بقوة. حتى أن بعض أهل سكان البلاد انخرطوا في الجيوش الوافدة من خارج المنطقة، وشاركوا في الكثير من الحروب التي جرت، وبعضهم ربما خرجوا من أوطانهم مع تلك الجيوش أثناء مغادرتها أرض السراة وتهامة. ولا يستبعد أن العثمانيين أخذوا بعض الأفراد المحليين إلى مدارسهم العسكرية والحربية في الحجاز أو اليمن، أو مصر، أو استانبول وغيرها من أجل تعليمهم وتدريبهم ثم الاستفادة منهم في الخدمات الحربية والعسكرية<sup>(٢)</sup>.

٣. أستطيع القول إن العامل السياسي والعسكري الذي عرفته بلاد تهامة والسراة في العصر الحديث خلق علاقات وصلات حضارية بين أهل البلاد الأصليين وغيرهم من الشعوب التي وفدت إلى بلادهم سواءً كانوا من داخل شبه الجزيرة العربية أو من خارجها<sup>(٣)</sup>.

(١) هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة وبعض الدراسات القديمة والحديثة أشارت إلى أفراد كثيرين من نجد والحجاز أو من بلدان إسلامية أخرى استقروا في السروات وتهامة. وآخرون من أهل البلاد ذهبوا إلى مناطق داخلية وخارجية برضاهم، وأحياناً تم نفيهم بالقوة لأهداف سياسية.

(٢) سمعت من بعض الرواة المحليين في نهاية القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) روايات سفر بعض الأشخاص إلى اليمن والحجاز، وآخرين إلى مصر والشام من أجل الانخراط في خدمة الدولة العثمانية. ولا أستبعد أن ذلك صحيح لأن من يطالع بعض الوثائق العثمانية يجدها تشير إلى أن العثمانيين حماة الدين والحرمين الشريفين. وأهل السراة وتهامة عاطفيون وأيضاً أصحاب ديانة سنية حسنة، ويرغبون نصرته الإسلام والمسلمين في كل مكان. ومن هذا المنطلق ربما خرج بعض الرجال لنصرة الدولة العثمانية التي تدافع عن مقدسات المسلمين في كل مكان. أقول: إن تاريخ الصلات بين السريين والتهاميين مع غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية أو خارجها خلال العصر الحديث (١١ق-١٤ق/١٧ق-٢٠ق) موضوع خصب يستحق أن يدرس ويوثق في كتب وبحوث عديدة.

(٣) من يطالع الخطابات والمراسلات السياسية والعسكرية خلال القرن (١٢هـ/١٩م)، وبداية القرن (١٤هـ/٢٠م) يجدها مليئةً بالبراهين والنصوص التي تؤكد على الصلات بين التهاميين والسريين وغيرهم. وهناك وثائق كثيرة من هذا النوع ومعظمها تستحق الدراسة والتحليل.

## ٢- الصلات الاجتماعية :

أهل السراة وتهامة لهم عادات وتقاليد في تشييد منازلهم، ونظام أطعمتهم وأشربتهم، وألبستهم وزينتهم، وحفلات أعيادهم، وزواجاتهم، وفنونهم ورياضاتهم الشعبية وغيرها. وهي في المدن والقرى الكبيرة تختلف عن حياة البادية أو الأرياف القريبة من حياة البداوة<sup>(١)</sup>. في هذه البلاد الكثير من الحواضر مثل: مدن جازان الرئيسية، وبلاد السراة كنجران، وخميس مشيط، وأبها، وبيشة، والنماص، وبلجرشي، والطائف وغيرها<sup>(٢)</sup>. ونجد أن أهل هذه البلاد كانوا يسافرون إلى مدن اليمن والحجاز، وآخرون يذهبون إلى الشام، ومصر، والسودان وشمال إفريقيا وشرقها ثم يعودون وعليهم بعض التغيرات في ألبستهم، وأحياناً لهجاتهم، وقد يجلب بعضهم بعض العادات والتقاليد التي شاهدها سواءً داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها<sup>(٣)</sup>.

والوافدون إلى تهامة والسراة أثروا وتأثروا. فإذا توقفنا مع اللهجات أو المفردات اللغوية نجد أن كثيراً من الكلمات التركية صارت مألوفاً عند أهل البلاد. كما أن القادمين سواءً كانوا جنوداً، أو رجال سياسة، أو إدارة، أو تجارة تكيفوا مع أهل البلاد فصاروا يأكلون ويشربون من أطعمتهم، ويبدلون قصارى جهودهم لمعرفة بعض عادات وتقاليد أهل البلاد الأصليين. كما أنهم يشاركون في بعض الاحتفالات ومناسبات الأعياد والمآتم وغيرها، وقد أشار إلى شيء من ذلك بعض الرحالة في مؤلفاتهم مثل موريس تاميزيه، والسير كيناهاان كورنواليس، وسليمان شفيق باشا<sup>(٤)</sup>. أما إذا بحثنا عن الوثائق المحلية أو الموجودة في بعض أراشيف اليمن، أو الحجاز، أو مصر، وبلاد الشام، أو استانبول فإننا نجدتها تحتوي على معلومات تفيد في ميدان الصلات الاجتماعية بين أهل البلاد ومن ارتاد بلادهم بطرق سياسية وعسكرية، أو صلات حضارية أخرى<sup>(٥)</sup>.

(١) يغلب على أهل البوادي والأرياف البعيدة عن الحواضر البساطة في حياتهم العامة بسبب ضعف أحوالهم الاقتصادية .

(٢) هذه البلدان يغلب عليها التمدن إلى حد ما خلال القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وقد أشار إلى ذلك بعض الرحالة الذين زاروها في تلك الفترة. كما أن حياة أهلها تجمع بين الرعي، والزراعة، والتجارة، وممارسة بعض الحرف والمهن والصناعات التقليدية. وهي غالباً من المراكز الحضارية في بلاد تهامة والسراة منذ بداية العصر الحديث. وبعضها قديمة في تاريخها وحضارتها. حيناً أن تقرد كل ناحية بدراسات عديدة وبخاصة في التاريخ الحضاري منذ القرن (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) .

(٣) تشير بعض المصادر والوثائق إلى بعض التهاميين والسرويين، وهم قلة، الذين ذهبوا إلى حواضر عديدة داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها للتجارة، أو التعلم، أو البحث عن أعمال تساعد في تحسين أوضاعهم الاقتصادية.

(٤) نجد في كتب هؤلاء الرحالة بعض النصوص التي تؤكد حضور أصحابها الكثير من عادات وتقاليد أهل البلاد. بل إن بعضهم ذكر تفصيلات جيدة عن بعض أنواع الأطعمة والأشربة، أو الألبسة التي شاهدها وشاركوا في مناسباتها مع أهل البلاد.

(٥) العلاقات الاجتماعية بين التهاميين والسرويين وغيرهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها منذ بداية القرن الثاني عشر الهجري إلى عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) موضوع مهم لم يدرس في هيئة كتاب أو بحث علمي

### ٣. الصلات الاقتصادية :

كانت الصلات التجارية بين جنوب السروات وتهامة وشمالها قوية مع بلدان اليمن والحجاز المجاورة لها. وذلك للتقارب والجوار فيما بينها، ثم اتصالها ببعضها بطرق تجارية عديدة. ونجد بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة أشارت إلى بعض تلك الطرق. ثم جاءت مصادر ومراجع ووثائق متأخرة في العصر الحديث فذكرت أسماء بعض الطرق التي تربط بين اليمن والحجاز عبر بلاد السراة وتهامة، وأشارت إلى أنواع السلع المتبادلة بين سكان هذه البلدان، وبعضها ذكرت العملات المتداولة في السروات وتهامة واليمن والحجاز وبلدان أخرى في شبه الجزيرة العربية. ولا تخلو بعض المصادر من ذكر أسعار بعض السلع، والمعوقات التي كانت تقابل المسافرين والتجار بين اليمن والحجاز عبر السروات أو تهامة<sup>(١)</sup>. وموانئ البحر الأحمر الشرقية من الليث والقنفذة والبرك، والشقيق، وبيش، وصيبا، وجازان جميعها لعبت دورا إيجابيا في اتصال أهالي تهامة مع غيرهم من شعوب الأرض في شرق إفريقيا، والهند، أو مصر، وسكان البحر الأبيض المتوسط، وبعض بلدان أوروبا<sup>(٢)</sup>.

في عموم السروات وتهامة أسواق أسبوعية بعضها كانت ذات تاريخ قديم، واستمرت تؤدي خدماتها الاقتصادية والحضارية خلال القرنين (١٣ - ١٤هـ / ١٩ - ٢٠م). وقد نوهت بعض المصادر والوثائق الحديثة إلى بعضها فذكرت حركتها التجارية، وأشارت إلى مراديبها من أهل البلاد، وبعض التجار الذين يأتون إليها من بلدان الحجاز، أو نجد، أو اليمن<sup>(٣)</sup>. كما أن الوافدين إلى السروات وتهامة من بلاد اليمن، أو الحجاز، أو حتى الجيوش النجدية، أو المصرية، أو العثمانية كانوا يحضرون هذه الأسواق الأسبوعية، ويلتقون بأهل البلاد فيها،

مطول. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من الدراسات العلمية الرصينة. أمل أن نرى بعض مؤرخي السروات وتهامة يتولونه بالدراسة والتأصيل العلمي، ومن يفعل ذلك فإنه يسدي لنا معروفا كبيرا في إطلاعنا على صفحات تاريخية حضارية من حياة هذه البلاد الجنوبية العربية السعودية .

(١) تاريخ الصلات التجارية بين اليمن والحجاز ودور بلاد تهامة والسراة في تلك الصلات موضوع جديد لم يدرس بهذا أن يوثق في هيئة كتاب أو رسالة علمية.

(٢) موانئ ساحل البحر الأحمر الشرقية لها تاريخ حضاري نشط في ميدان التجارة، وفي الصلات الحضارية الأخرى. وكل ميناء من الموانئ المذكورة أعلاه يستحق أن يفرده له دراسة علمية مستقلة ومطولة وموثقة. ومن يبحث في بعض المصادر العربية وأخرى أجنبية يجدها ذكرت صفحات من تاريخ هذه الموانئ وعلاقتها مع غيرها من بلدان أوروبا، وإفريقيا، وشرق آسيا.

(٣) من يدرس تاريخ الأسواق الأسبوعية القديمة في نجران، وجازان، وتهامة من صيبا حتى مكة المكرمة، وبيشة، والطائف، وخميس مشيط، وأبها وغيرها فإنه يجد لها أدوار متعددة في صلات الناس الاقتصادية والحضارية ليس في بلاد السراة وتهامة فقط، وإنما مع بعض شعوب اليمن، والحجاز، ونجد وغيرها. وتاريخ كل سوق من أسواق السروات وتهامة خلال القرون (١١ - ١٤هـ / ١٧ - ٢٠م) يستحق أن يستقل بدراسة موثقة، أمل أن نرى باحثين مؤرخين جادين يهتمون بهذا الميدان الحضاري المهم.

ويتعاملون معهم في التعاملات التجارية المختلفة، وبعضهم ربما عملوا في مهنة التجارة وذهبوا إلى حواضر عديدة خارج شبه الجزيرة وداخلها، وجلبوا معهم البضائع المختلفة من أجل البيع والشراء<sup>(١)</sup>.

والرعي والزراعة من مهن أهل السروات وتهامة الرئيسية، ومعظم الأسر والأفراد في هذه البلاد كانوا يمارسون هذه الحرف ويقتاتون منها. لكن بعضهم كانوا يصدرون تجارتهم إلى أسواق الحجاز أو اليمن، أو بعض بلدان شرق إفريقيا. وأحد أجدادي في حاضرة النماص يذكر أنه عاصر بعض التجار في بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) الذين كانوا يسوقون مئات المواشي من الماعز والضأن إلى الحجاز قبل موسم الحج بيضعة شهور، وذلك من أجل بيعها على الحجاج. ومثل هذه التعاملات التجارية موجودة منذ مئات السنين، فقد أشارت إليها بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة. لكن المهم في ذلك ما ينتج من صلات حضارية بين الحجازيين وأهل السراة وتهامة، فالأوائل كانوا ينتظرون بضائع السرو من الحبوب والأغنام، فيشترونها منهم، أو يقايضونهم بسلع أخرى<sup>(٢)</sup>.

والحرف والمهن التقليدية سادت في بلاد السراة وتهامة، لكن أبناء القبائل العربية لا يحبذون من يعمل في هذه الأعمال بهدف الربح والتجارة، وينظرون إلى العاملين فيها نظرة ازدراء. وهذا السبب جعل عناصر وافدة إلى السروات وتهامة، يعملون في مهن عديدة، ثم عادوا إلى أوطانهم الرئيسية. وآخرون جاءوا إلى هذه البلاد، وأقاموا فيها، ثم صاروا من طبقات المجتمع الرئيسية<sup>(٣)</sup>.

(١) هناك بعض المصادر وكثير من الوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى تجار من السروات وتهامة، وآخرون من خارج هذه البلاد وجميعهم عملوا في مهنة التجارة وبخاصة في المدن والموانئ الكبيرة في جنوبي شبه الجزيرة العربية. وهذا الموضوع، حسب علمي، لم يدرس ويوثق في عمل علمي مطبوع ومنشور. أمل أن نرى مؤرخاً جاداً يتخذ موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية، وهو جدير أن يصدر في عمل علمي موثق. وقد جلست مع بعض المسنين في بداية التسعينيات من القرن الهجري الماضي في جازان، وصبيا، والقنفذة، والمخوة، وبلجرشي، وبيشة، والنماص، وخميس مشيط، وأبها وجميعهم ذكروا تجارا كانوا يفتدون من عدن أو صنعاء، أو بعض مدن الحجاز كالتائف ويجلبون معهم بعض السلع من بلادهم. أو يستوردونها من بلدان خارج شبه الجزيرة العربية. وبعضهم ذكروا تجارا محليين كان لهم أصدقاء تجار في عدن أو شرق إفريقيا، وأحيانا في مكة وجدة يستوردون منهم تجارات مختلفة. وهناك من ذكر أن بعض التجار في الأسواق الكبيرة في السراة وتهامة وافدون من بلدان أخرى داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، ثم صاروا من تجار السروات وتهامة ومن نسيج المجتمع المحلي. وهذا الموضوع جديد في بابته ويستحق أن يدرس في رسالة أو كتاب علمي.

(٢) سمعت أفراداً من قرانا في سروات بني شهر في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يذكرون قصصاً عديدة عن المسافرين والتجار الذين كانوا يذهبون إلى أسواق الحجاز الكبرى أو بعض أسواق اليمن من أجل البيع والشراء. وبعضهم ذهبوا إلى هناك ولم يعودوا وإنما بقوا يعملون في التجارة أو أعمال اقتصادية أخرى حتى وفاتهم. وخلفوا أسرا وذراي ساروا على نهج آبائهم في ممارسة بعض الأعمال الاقتصادية خارج بلاد آبائهم وأجدادهم الرئيسية (السراة وتهامة).

(٣) تاريخ الحرف والصناعات التقليدية في بلاد السراة وتهامة خلال العصر الحديث من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث والدراسات العلمية. بل كل حرفة أو صناعة رئيسية

#### ٤ - الصلات العلمية، والثقافية، والفكرية :

لم تكن بلاد تهامة والسراة مفلسة في ميدان العلاقات العلمية والفكرية قبل عام (١٢٠٠هـ/١٧٨٥م)، وإنما كان هناك صلات علمية جيدة بين المخلاف السليمانى (جازان) وحواضر اليمن الكبرى<sup>(١)</sup>. وكذلك بين أهل نجران وسروات اليمن مثل صعدة وصنعاء وغيرهما، حتى وإن كان هناك صراعات سياسية وعسكرية بين الأئمة الزيدية والنجرانيين<sup>(٢)</sup>.

كان طلاب العلم من جازان ونجران وحواضر السروات وتهامة الأخرى يذهبون إلى حواضر الحجاز، مكة المكرمة والمدينة المنورة، من أجل قضاء مناسك الحج والعمرة، والتعلم على علماء الحرمين. ونجد المصادر الحجازية تذكر بعض السرييين من الطائف حتى نجران الذين جاءوا إلى مكة المكرمة، فأقاموا بها، وماتوا ودفنوا فيها<sup>(٣)</sup>. ونجد بعض علماء الحجاز، وبخاصة المكيين، كانوا يذهبون إلى الطائف، فيمكثون فيه فترات طويلة، أو تراهم ذاهبين آيين بين الطائف ومكة<sup>(٤)</sup>. وتشير بعض كتب المكيين والطائفيين إلى أسماء بعض العلماء وطلبة العلم الذين كانوا يعيشون حياتهم ما بين مكة والطائف، وبعضهم أقام في الطائف حتى ماتوا<sup>(٥)</sup>.

كان المذهب الشافعي هو السائد في عموم السروات وتهامة قبل وصول الدعوة الإصلاحية في عهد الدولة السعودية الأولى، واستمر عقوداً عديد في القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وعند امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى هذه البلاد بدأ المذهب الحنبلي ينتشر بشكل كبير، لأنه مذهب الدولة السعودية الجديدة<sup>(٦)</sup>.

مثل: الدباغة والخرازة، والتعدين والصياغة، وصناعة الحديد، أو الفخار، أو الخياطة والصباغة وغيرها تستحق أن تدرس في بحث علمي مستقل.

(١) هناك العديد من المصادر اليمنية التي أشارت إلى تلك الصلات العلمية، وما زال الموضوع يحتاج دراسات علمية أطول وأفضل وأعمق.

(٢) الصراعات السياسية والعسكرية بين الطرفين موجودة منذ القرون الإسلامية الأولى إلى العصر الحديث، وهناك أيضاً صلات ثقافية وعلمية بين النجرانيين واليمنيين. وهذا الموضوع حسب علمي، لم يدرس في عمل علمي موثق، أمل أن نرى من يدرسه دراسة علمية حيادية ونزيهة.

(٣) للمزيد انظر مؤلفات مؤرخي مكة مثل شفاء الغرام، والعقد الثمين للفاسي، ومؤلفات أخرى لبعض علماء أسرة آل فهد المكية.

(٤) كانت الطائف على صلات علمية وحضارية مع مكة المكرمة. وقد ذهب علماء كثيرون من مكة إلى الطائف وأقاموا بها بعض الوقت، وبعضهم مات ودفن فيها.

(٥) هناك مصادر عديدة لمؤرخي الطائف ومكة أشارت إلى الكثير من الأعلام والعلماء الذين كانوا يرتحلون ما بين الطائف ومكة، وبعضهم أقاموا في الطائف حتى ماتوا، أو قضوا فيها سنوات كثيرة من أعمارهم. والصلات الحضارية ما بين الطائف ومكة في العصر الإسلامي الوسيط موضوع جديد في بابيه يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٦) ربما عرف بعض التهاميين المذهب الحنبلي قبل قيام الدولة السعودية الأولى ودعمها وحمايتها للدعوة



ومنذ قيام الدولة السعودية الأولى ثم نشأة إمارة المتاحمة في عسير بدأ الاتصال العلمي والفكري والثقافي بين السرييين والتهاميين وبين علماء وأدباء نجد<sup>(١)</sup>. وهناك بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة التي أشارت إلى شيء من تاريخ تلك الصلات<sup>(٢)</sup>، ومازال هناك الكثير من الخطابات والوثائق والمخطوطات المفقودة، أو المحفوظة ولم تدرس وتحقق، وفيها الكثير من التفاصيل عن تلك الصلات الحضارية وبخاصة الحياة العلمية والفكرية والثقافية<sup>(٣)</sup>.

وفي عهد إمارة المتاحمة (١٢١٥ - ١٢٢٤هـ / ١٨٠٠ - ١٨١٨م)، ثم ما تلاها من إمارات (١٢٣٥ - ١٢٨٩هـ / ١٨١٩ - ١٨٧٢م) نجد الكثير من القضاة والعلماء في السروات وتهامة كانوا على صلوات حسنة مع علماء نجد. وعلماء آل الحفظي في رجال ألمع من أكثر علماء تهامة والسراة تبحراً في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية. كانوا على صلوات جيدة مع باقي علماء وقضاة السراة وتهامة، وعلماء سروات اليمن وتهائمها، ومع علماء نجد، وبلاد الحرمين<sup>(٤)</sup>.

الإصلاحية في نجد (دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب). ولا يستبعد أنهم عرفوا مذاهب أخرى مثل المذهب الحنفي، والمالكي. لكن المذهب الأكثر انتشاراً في بلادهم خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وبداية الحديثة هو المذهب الشافعي. والإمام الشافعي نفسه جاء إلى نجران واليمن في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٢هـ / ٨٧٦ - ٨٠٨م) وتولى الإمارة والقضاء في نجران لبضع سنوات. وتاريخ المذهب الشافعي في عموم تهامة والسروات منذ القرن (٢ - ١٢هـ / ٨ - ١٨م) موضوع لم يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية، ويستحق أن يبحث ويوثق في عدد من البحوث العلمية. أمل أن نرى مؤرخين جادين يقومون بدراسة هذا الموضوع دراسة علمية حيادية.

(١) بحثت في الكثير من المصادر لمعرفة بعض الصلات الحضارية والعلمية بين التهاميين والسرييين وبلاد نجد والبحرين (الخليج العربي حديثاً) خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وبداية الحديث فلم أجد ما يفيدني في هذا الجانب. أمل أن نرى باحثاً جاداً يبحث في هذا الموضوع وقد يطلعنا على ما لم نستطع الوصول إليه ومعرفته.

(٢) هناك عدد من الكتب المطبوعة والرسائل العلمية غير المنشورة وبعضها باللغة العربية وأخرى بلغات أجنبية أشارت إلى تفاصيل متفاوتة في الطول والقصر عن تلك الصلات العلمية والسياسية والحضارية. ومازال هذا الموضوع يستحق أن يدرس دراسة أطول وأعمق.

(٣) أمل أن نرى باحثين جادين يحصرون جميع تلك الوثائق والخطابات والمخطوطات المحفوظة عن الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى وصلاتها بالسراة وتهامة ثم تدرس دراسات علمية رصينة.

(٤) علماء وأدباء وفقهاء أسرة آل الحفظي خلال القرن (١٢هـ / ١٩م) وبداية القرن (١٤هـ / ٢٠م) هم المتصدرون للفيتا وعلوم الشريعة واللغة العربية. ونجد لهم ذكراً واسعاً في مصادر جازان، واليمن، والحجاز، ونجد. ومعظمهم كانوا على صلوات قوية وجيدة مع علماء عصرهم في شبه الجزيرة العربية. وظهر في هذه الأسرة علماء أعلام لهم كتب ومراسلات ومكاتبات مع من عاصرهم من العلماء والفقهاء والقضاة ليس في محيط السروات وتهامة فقط، لكن في حواضر جزيرة العرب الأخرى. وعلماء هذه الأسرة يستحقون أن يفرّد لهم دراسات مطولة توضح آثارهم وجهودهم في بلادهم وفي عموم بلاد تهامة والسروات وما جاورها من البلدان.

والدارس للتاريخ السياسي والحضاري لبلدان السروات وتهامة منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري حتى عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) يجد أن أمراء المتاحمة وآل عائض كانوا على قدر جيد من التقى والصلاح، فكانوا يقربون العلماء والقضاة والفقهاء ويستشيرونهم في كثير من الأمور العامة والخاصة<sup>(١)</sup>. كما أن أئمة الدولتين السعودية الأولى والثانية كانوا على صلات جيدة مع أمراء بلاد عسير<sup>(٢)</sup>. والعلماء النجديون أنفسهم في عصر تلك الدولتين كانوا على صلات ومراسلات مع علماء السروات وتهامة وبخاصة بعض علماء أسرة آل الحفظي، وبعض البيوتات والأسر العلمية في المخلاف السليمانى (منطقة جازان حالياً)، وبعض السروات الممتدة من أبها إلى الطائف<sup>(٣)</sup>.

جاء النفوذ العثماني السياسي والعسكري الأخير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) إلى بلاد السراة وتهامة، واتخذ من مدينة أبها مقراً له، وإذا كان صال وجال في البلاد حربياً، ودخل في حروب وصراعات مع قبائل المنطقة الممتدة من جنوبي مكة والطائف حتى جازان ونجران<sup>(٤)</sup>. إلا أنه اتخذ المحاكم الشرعية التي عين فيها قضاة من أهل البلاد، وأحياناً يستقدمون علماء وقضاة من الحجاز واليمن ومصر للعمل في القضاء وإمامة الناس في صلواتهم وجمعهم وجماعاتهم<sup>(٥)</sup>.

- (١) تاريخ الصلات بين أمراء المتاحمة وآل عائض مع العلماء والفقهاء والأدباء في بلاد السراة وتهامة موضوع لم يدرس حتى الآن، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة.
- (٢) هناك العديد من الدراسات التي خرجت خلال المئة سنة الماضية وأشارت إلى شيء من تلك الصلات وبخاصة في الجانب السياسي والإداري. وما زال هناك مصادر ووثائق غير منشورة قيد في دراسة تلك الصلات جيداً أن نرى باحثاً يسعى إلى جمعها ودراستها وتحقيقتها ثم طباعتها ونشرها.
- (٣) لقد اطلعت على شيء من تلك الصلات في بعض الكتب المطبوعة والمنشورة، كما رأيت وجمعت بعض الخطابات والمراسلات العلمية وأحياناً الأخوية مع بعض علماء نجد وعلماء في مدن وحواضر من السروات وتهامة. وأقول أنه ما زال هناك وثائق كثيرة غير منشورة تصب في خدمة هذا الموضوع. أرجو من أساتذة أقسام التاريخ وطلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام بجامعة السروات وتهامة (الملك خالد، وجازان، ونجران، وبيشة، والطائف، والباحة) أن يلتفتوا إلى هذا الميدان العلمي المهم الجدير بالدراسة والتوثيق.
- (٤) التاريخ السياسي والحربي للعثمانيين في تهامة والسروات خلال متصرفية عسير (١٢٨٩-١٣٧٧هـ/١٩٧٢-١٩١٨م) ما زال موضوعاً لم يعط حقه. وقد صدر بعض الدراسات من مؤلفين عرب، وبعضهم من جنوبي المملكة العربية السعودية، فركزوا فقط على سلبيات العثمانيين في المنطقة، ولم يذكروا إيجابياتهم. وأقول إنه ما زال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة ومعظمها باللغة العثمانية، والواجب جمعها وترجمتها ودراستها، ثم دراسة الحياة السياسية والعسكرية في عموم السروات وتهامة دراسة حيادية ونزيهة بعيدة عن التوتر والتعصب لفريق دون الآخر.

- (٥) اطلعت على بعض الوثائق العثمانية، ووثائق أخرى محلية، وقرأت بعض الدراسات الحديثة بالعربية وأخرى باللغة الإنجليزية وجميعها أشارت إلى شيء من التاريخ الثقافي والعلمي في السروات وتهامة. وكان بعض الولاة العثمانيين في متصرفية عسير يدعمون ويساندون ويشجعون بعض العلماء وطلبة العلم على أداء أعمالهم بالعدل والاستقامة كما أنهم يحضرون بعض النشاطات والمناسبات الاجتماعية والعلمية في مدينة أبها. كما رأيت بعض الأحكام الصادرة في محكمة أبها في بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م)،

وفي بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) قابلت وسمعت من بعض رواد التعليم النظامي والإداري في منطقة عسير خلال القرون الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) وفي مقدمتهم عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)<sup>(١)</sup>. وعبد المالك الطرابلسي<sup>(٢)</sup> ومحمد أحمد أنور<sup>(٣)</sup>، وجميعهم أشاروا إلى أن العثمانيين كانوا أصحاب فكر وثقافة ولهم نظم وقوانين حديثة، ولديهم اهتمام بالتعليم. ويشيرون إلى أن متصرف عسير العثماني محي الدين شوقي باشا (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/١٩١٣-١٩١٧م) افتتح مدرسة في أبها تتكون من ابتدائية، ومتوسطة، وعالية، والطالب يقضي في كل مستوى سنتين ثم ينتقل للذي بعده، وذلك المجمع التعليمي كان يطلق عليه اسم (المدرسة الرشدية). وعند نشأة هذه المدرسة طلب المتصرف من أعيان وشيوخ عسير إدخال أبنائهم في هذه المدرسة، لكن معظمهم رفضوا، لأن اللغة التي تدرس بها المدرسة، هي اللغة التركية، وقد التحق بها عدد من شباب أبها وتخرجوا فيها<sup>(٤)</sup>.

لا يمكن حصر نشاطات العثمانيين العلمية في هذه المدرسة، وإنما كانوا يسعون إلى نشر كثير من ثقافتهم، وأعرافهم، وبعض مصطلحاتهم اللغوية، وفنون أخرى في اللباس، والطعام والشراب<sup>(٥)</sup>. لكن معظم القبائل في عموم تهامة والسرارة كانت ترفض ذلك، وتثور في وجه النفوذ العثماني، لهذا بقي تأثيرهم محدوداً في مقراتهم الرئيسية في بلدات أبها، والنماص، والقنفذة، ومحایل، وأبو عريش وغيرها. واجتهد

وتوافق تلك الأحكام الشرعية مع القرآن الكريم والسنة النبوية. أمل أن تجمع الوثائق الخاصة بالقضاء والحياة العلمية والثقافية والفكرية في بلاد السرارة وتهامة خلال عصر المتصرفية العثمانية (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) ثم تدرس وتحقق وتحلل تحليلاً علمياً حياً.

(١) انظر معلومات أكثر عنه، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١-٧هـ/١٥ق١م)، ط٢ (مطبوعات جامعة الملك خالد. ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج١، ص ٤٠٣-٤٢٨. للمؤلف نفسه. دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الجزء الأول والثاني) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠٢١م)، ص ٢١-٥٤.

(٢) للمزيد انظر غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٥٢ وما بعدها، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط٢، ص ٢، ج١، ص ٤٢٩-٤٤٢.

(٣) انظر القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط٢، ج١، ص ٢٥-٢٢٢، للمؤلف نفسه، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية: محمد أحمد أنور (دراسات، وشهادات، ووثائق) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢١هـ/٢٠١٠م)، (٦٠٦صفحة).

(٤) المصدر: مقابلة مع عبد الله بن إلياس في منزله بحي الخالدية في أبها في (١٢/٩/١٤١٤هـ)، انظر أيضاً غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ)، ج١، ص ٣٤-٣٥، ٤٩.

(٥) هذا ما ذكرته بعض الكتب العربية والعثمانية التي أرخت لمتصرفية عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م). وأشارت إليه بعض الوثائق المنشورة في بعض الكتب والرسائل العلمية التي صدرت خلال العقود الستة الماضية.

بعض العلماء وطلاب العلم، بجهود فردية، في خدمة أهلهم ومجتمعاتهم دعواً وتوعياً، لكن جهودهم كانت في نطاق محدود<sup>(١)</sup>.

والإمارة الإدريسية التي ظهرت في صيبا في الثلث الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان لها جهود تعليمية ودعوية تخدم أهدافها السياسية<sup>(٢)</sup>. وكان لبعض الأعلام في تلك الإمارة اتصالات مع علماء في الحجاز، واليمن، ومصر<sup>(٣)</sup>. وعلماء وأئمة الزيدية كانوا أيضاً يدفعون ببعض نشاطاتهم السياسية والدعوية إلى بلدان المخلاف السليماني ونجران<sup>(٤)</sup>.

**(\*)- أثناء تجوالي في بلدان السروات وتهامة خلال العقود الثلاثة الماضية، وزيارات أحفاد وأبناء بعض الأسر العلمية خلال القرن الثالث عشر وبداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأيضاً اطلاعي على بعض الكتب والرسائل العلمية التي صدرت في بعض الجامعات السعودية والعربية والغربية اتضح لي أمور عديدة، أذكر أهمها في النقاط الآتية :**

أ - إن عموم السريوين والتهاميين كانوا مؤثرين ومتأثرين بعلمائهم المحليين، فكانوا هم الذين يتولون القضاء بين الناس، ويقومون على إمامة الناس في جمعهم وجماعاتهم، ويعقدون أنكحتهم، ويقسمون مواريتهم، ولا تخلو أي ناحية في هذه البلاد من هؤلاء الأعلام الذين يقودون مجتمعاتهم ويجتهدون في خدمتها علمياً وشرعياً وثقافياً. لكنهم يتفاوتون في مستوياتهم العلمية، فهناك علماء واسعوا العلم وبخاصة في الميادين الشرعية واللغوية، ومعظمهم كانوا في المخلاف السليماني (جازان)، ورجال ألمع، والقنفذة، والبرك، وبعض المدن السروية مثل: خميس مشيط، وأبها، والنماص، وبيشة، والباحة، والطائف. ولا تخلو أيضاً هذه البلدان وغيرها من طلاب علم مجتهدين في خدمة أهلهم ومجتمعهم علمياً ومعرفياً<sup>(٥)</sup>.

(١) هذا ما سمعته من عبد الله بن إلياس، وعبد المالك الطرابلسي عندما التقيت بهما في النصف الأول من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) صدر حتى الآن العديد من الدراسات والبحوث التي أرخت للإمارة الإدريسية وصلاتها بمن حولها في عسير، واليمن والحجاز، وبعض بلدان شرق إفريقيا. وما زال هناك مصادر ووثائق لم تدرس وتحقق عن هذه الإمارة، وبعض هذه المصادر موجودة في الأرشيف العثماني في استانبول، وفي اليمن، والحجاز، وبعض دول أوروبا مثل بريطانيا وإيطاليا.

(٣) تاريخ الحياة العلمية في إمارة الأدارسة موضوع جيد يستحق أن يدرس دراسة علمية في كتاب أو رسالة.  
(٤) الصلات السياسية والحضارية بين الدول الزيدية وبلاد جازان ونجران قديمة وطويلة، صدر عنها العديد من الدراسات العلمية، وما زالت تحتاج دراسات أطول وأعمق.

(٥) نجد في جازان وبعض مدن عسير والحجاز من أصدر بعض المؤلفات خلال القرن (١٢هـ/١٩م) وبداية القرن (١٤هـ/٢٠م) وذكروا عدداً من العلماء والأسر العلمية التي ظهرت في مدن وحواضر تهامة والسروات. وجاء مؤلفون في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فأصدروا أيضاً تراجم

ب- كان طلاب العلم وبعض العلماء في تهامة والسراة لا يكتفون بطلب العلم على يد علمائهم المحليين، وإنما هاجر بعضهم إلى مدن اليمن العلمية، أو بلاد الحرمين (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، أو الأزهر في مصر، ومنهم من ذهب إلى استانبول، عاصمة الدولة العثمانية، لطلب العلم الشرعي واللغوي ومعارف أخرى على بعض علماء الدولة العثمانية. ومنهم من بقي في هجرته العلمية شهوراً أو سنوات ثم عادوا إلى أوطانهم لتعليم الناس وخدمة بلادهم علمياً ودعواً. وآخرون ذهبوا ولم يعودوا وواصلوا حياتهم العلمية وكسب الرزق في الأوطان التي ذهبوا إليها<sup>(١)</sup>.

ج- إذا قارنا التراث المتوفر عن بلاد السراة وتهامة في العصر الحديث (١٢٠٠-١٣٤٠هـ/١٧٨٥-١٩٢١م) مع القرون السابقة فليس هناك وجه مقارنة، فالفترة الزمنية المتأخرة واضحة المعالم من خلال ما وصلنا من تاريخها المدون، ثم اتصالها السياسي والحضاري بشعوب وقوى سياسية داخلية وخارجية ظهرت على الساحة وخلفت تاريخاً وتراثاً. وهذا لا يعني أن القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة لا يوجد فيها صلات حضارية وتاريخية، لكنه - للأسف - لم يدون ويحفظ، وبالتالي فلا نعرف الشيء الكثير عن أحوال التهاميين والسرويين في تلك العهود<sup>(٢)</sup>.

لبعض العلماء والقضاة والأعلام في هذه البلدان العربية الجنوبية السعودية انظر العديد من هذه المؤلفات المتقدمة والمتأخرة في المكتبات العامة والجامعية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ومعظمها مازالت ورقية وبعضها تم تحويلها إلكترونياً، ويمكن الحصول عليها بسهولة. وهناك أيضاً بعض الرسائل العلمية التي درست الحياة العلمية في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وذكرت شيئاً من تاريخ الحياة العلمية في بلاد السراة وتهامة، والحصول عليها سهل فهي في مكتبات الجامعات المحلية. وهناك أعلام وعلماء كثيرون ورد لهم ترجمات مختصرة في الكتب والرسائل المشار إليها أعلاه، وما زالوا يستحقون أن تفرّد لهم دراسات مطولة توضح جهودهم العلمية والثقافية والفكرية في بلادهم أثناء حياتهم.

(١) تجولت في جميع أجزاء السراة وتهامة، وسمعت عن علماء وأعلام كان لهم دور ريادي في أوطانهم خلال القرن (١٢هـ/٢٠م) وبدايات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقابلت بعض أحفادهم وأطلعوني على بعض كتبهم ومراسلاتهم مع علماء آخرين في تهامة والسراة، أو في اليمن أو الحجاز. وأعتقد أن الكتابة عن أعمال أولئك العلماء بشكل موسع واجب علينا معاصر المؤرخين المعاصرين.

(٢) هناك تراث وتاريخ مكتوب عن السراة وتهامة في العصر الحديث، لكنه مازال مبعثراً في أمكنة كثيرة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وبعضه مازال مفقوداً. والواجب على جامعاتنا ومراكز بحوثها العلمية أن تجتهد في البحث عنه وجمعه، ثم تدعم وتشجع من يدرسه ويحققه، ثم يطبع وينشر. وهذا واجب وطني على هذه المؤسسات التعليمية العالية، وعلى من لديه القدرة جمع هذا التراث وخدمته علمياً.

## خامساً: وقفات مع صلات التهاميين والسرييين مع غيرهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/١٩٢١-٢٠٢٠م).

### ١- الفترة الأولى (١٣٤٠-١٣٧٣هـ/١٩٢١-١٩٥٣م) :

مر أهل السراة وتهامة بصلات تاريخية وحضارية متفاوتة مع غيرهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي، وظروف الخلافة الإسلامية السياسية في الحجاز ثم الشام والعراق حتى عصر الدولة العثمانية التي كانت تلقي بظلالها سلباً وإيجاباً على السرييين والتهاميين بشكل مباشر وغير مباشر<sup>(١)</sup>. أما الأحوال السياسية والعسكرية في شبه الجزيرة العربية وبخاصة في اليمن والحجاز فكانت مؤثرة دائماً على بلاد تهامة والسراة<sup>(٢)</sup>.

وعند قيام الدولة السعودية الحديثة ومد نفوذها على معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، كانت السروات وتهامة ضمن البلاد التي دخلت تحكم حكم الإمام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)<sup>(٣)</sup>. ومن ثم بدأت صفحة تاريخية جديدة تختلف تماماً عما سبقها من عصور<sup>(٤)</sup>. لن أبحث في هذه الصفحات التاريخ الحربي والسياسي الذي سلكته الدولة السعودية الحديثة في ضم هذه البلاد إلى منظومة بلدان المملكة العربية السعودية، لأن هذا الموضوع درس إلى حد ما في عدد من الدراسات والبحوث الحديثة<sup>(٥)</sup>. لكنني سوف أناقش ما جرى للتهاميين والسرييين من تنمية وتطوير مع التركيز على صلاتهم التاريخية والحضارية ببعضهم البعض،

(١) أشرت إلى لمحات مختصرة من تلك الظروف في فقرات سابقة من هذا القسم. وما زال الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) ذكرت في صفحات سابقة بعض النماذج لتلك المؤثرات منذ فجر الإسلام حتى عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) وصلات السرييين والتهاميين بأجزاء شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط وبداية الحديث موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في كتب ورسائل علمية عديدة.

(٣) هناك مئات الكتب والبحوث والدراسات التي فصلت الحديث عن تاريخ توحيد المملكة العربية السعودية باللغة العربية ولغات أخرى أجنبية عديدة.

(٤) حبذا أن نرى باحثاً أو مؤرخاً جاداً يجري دراسة مقارنة عن تاريخ وحضارة التهاميين والسرييين قبل وبعد قيام الدولة السعودية الحديثة. وهذا الموضوع جديد في ميدانه، كما يوجد عنه الكثير من المصادر المكتوبة والمرئية، ومن يقوم بذلك فسوف يطلعنا معاشر الباحثين والمؤرخين على صفحات جديدة من تاريخ هذه البلاد السعودية الجنوبية.

(٥) ظهر العديد من البحوث والكتب والدراسات التي وثقت تاريخ ضم البلدان التهامية والسريوية تحت لواء المملكة العربية السعودية. وما زال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي احتوت على صفحات من تاريخ هذه البلاد تحت حكم الدولة السعودية الحالية (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/١٩٢١-٢٠٢١م)، أرجو من الجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها وأساتذتها العمل على جمع هذا التراث ثم دراسته وتحقيقه وطباعته ونشره.

وبغيرهم من سكان المملكة العربية السعودية، أو اتصالهم بشعوب أخرى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

لم تدخل بلاد تهامة والسراة بطرق هادئة وسلمية تحت حكم الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل، وإنما واجهت الجيوش السعودية مقاومات متفاوتة من مكان لآخر، وبعد حوالي عقد من الزمن تقريباً (١٣٤٠ - ١٣٥٠ هـ / ١٩٢١ - ١٩٣١ م)، دانت جميع البلاد مع غيرها في عموم المملكة العربية السعودية بالخضوع لحكومة ابن سعود الحديثة، وصارت عموم البلاد تعرف باسم ( المملكة العربية السعودية من عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م)، وما زالت السروات وتهامة حتى الآن (١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م) جزءاً من هذه الدولة العربية السعودية الماجدة<sup>(١)</sup>.

لقد تحول أهل البلاد من قبائل متصارعة متناحرة إلى مجتمعات متحابية مترابطة، وخفت وطأة وهيمنة شيوخ وأعيان القبائل على بلادهم وقبائلهم عندما سعت الدولة العصرية الحديثة إلى تأسيس مؤسسات إدارية حديثة تتولى الفصل في الخصومات، وتوعية الناس وإرشادهم إلى كل خير، والعمل بجهد واجتهاد على حفظ الأمن في البلاد، وتوفير العدل بين طبقات المجتمع. والقارئ للتاريخ الإداري في السراة وتهامة في عصر الدولة السعودية الحديثة يجد أن الحكومة قامت على تأسيس إمارات رئيسية حديثة في عدد من مدن وحواضر البلاد، وإلى جانب تلك الإمارات مؤسسات أخرى عديدة، مثل: القضاء مهمثلاً في المحاكم الشرعية، والشرطة، والسجون، ومؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها<sup>(٢)</sup>.

هذا التحول السياسي والحضاري الذي جرى في البلاد أثناء توحيد المملكة العربية السعودية جعل الكثير من الجنود والفرق العسكرية تأتي من خارج السراة وتهامة، ويرافقها قادة، وفقهاء، وعلماء، وموظفون، وتجار وغيرهم، وجميعهم اختلطوا بأهل البلاد، ومع مرور الزمن اندمجوا مع بعضهم البعض، وصار هناك لحمة اجتماعية وتعاون بين أهل البلاد الأصليين والوافدين من أجل بناء مجتمع متحضر يعمل جميع أفرادها على إقامة شعائر الدين الحنيف، والتصدي لكل ما يهدد أمن البلاد واستقرارها. ونجد بعض المؤلفين العرب والأجانب، خلال النصف الثاني من القرن (١٤ هـ / ٢٠ م)،

(١) أمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين في جامعات الجنوب السعودي يدرسون التطور التاريخي والحضاري الذي مرت به بلدان السروات وتهامة من عام (١٣٤٠ - ١٤٤٢ هـ / ١٩٢١ - ٢٠٢١ م)، وهذا الميدان يستحق أن يصدر في عشرات الكتب والرسائل العلمية.

(٢) تاريخ المؤسسات الإدارية الحديثة في السراة وتهامة موضوع لم يدرس، يستحق أن يبسط في كتب وبحوث عديدة. وهناك الكثير من السجلات والوثائق الرسمية غير المنشورة في أرشيف هذه المؤسسات في بلاد عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والقنفذة، والليث، والطائف.

مثل: فؤاد حمزة، وعمر رفيع، وحافظ وهبة، وقلبي، وتويتشل، وأمينة الريحاني، وفيليب ليبنز، وشيخ، وغيرهم. يدونون تفصيلات كثيرة عن مجتمع السراة وتهامة في عصر الملك عبدالعزيز بن من (١٣٤٠-١٣٧٣هـ/١٩٢١-١٩٥٢م)، ويذكرون كيف اجتمع سكان هذه البلاد وتوحدوا، ثم تقاربوا وتعاونوا بصور حضارية مع من قدم إلى بلادهم سواء كانوا عسكريين أو مدنيين، أو أفراد، أو جماعات<sup>(١)</sup>.

### (\*)- وفي الصفحات الآتية أشير إلى شيء من تلك الصلات بين التهاميين والسرويين وغيرهم داخل بلادهم وخارجها، وهي على النحو الآتي :

١. سمعت الكثير من الروايات والأخبار التي تشير إلى هجرة بعض السرويين والتهاميين من أماكنهم الأصلية إلى مواطن أخرى في نطاق السروات وتهامة، بحثاً عن الرزق وتحسين أوضاعهم المعيشية، وربما بعضهم هاجروا لأسباب وظروف أخرى<sup>(٢)</sup>. والذاهب في البلاد الممتدة من خميس مشيط وأبها إلى الطائف يجد أفراداً كثيرين من بلاد قحطان قد خرجوا من بلادهم ربما في القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو قبل ذلك ثم استقروا في بلاد شهران، أو عسير، أو جبال الحجر، أو سروات غامد وزهران. وصاروا من نسيج المجتمعات التي هاجروا إليها. وقد حصرت حوالي خمسين أسرة في محافظة خميس مشيط، ومدينة أبها، وسروات الحجر، وغامد وزهران، والطائف. وجميعهم من هاجروا من سروات قحطان وما جاورها خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأصبحوا من أفراد القبائل التي استوطنوا أرضها في السروات الممتدة من حاضرة أبها إلى الطائف. وصار بعضهم أصحاب أملاك وعقارات كثيرة، بل إن منهم من أصبح من وجهاء وأعيان وشيوخ القبائل والعشائر التي هاجروا إليها وتحالفوا مع سكانها<sup>(٣)</sup>. وربما حدث هجرات في الأجزاء التهامية أو شرق السراة لكنها لا تظهر بوضوح كما عرفت وشاهدت في أرض السروات من خميس مشيط وأبها إلى الطائف. أما ذهاب السرويين إلى بلاد تهامة أو العكس فقد كان جارياً على نطاق ضيق وبخاصة العاملين في مهنة التجارة ونقل البضائع من مكان لآخر<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تفصيلات كثيرة في كتب هؤلاء المؤرخين والرحالة الذين رصدوا صفحات كثيرة عن أحوال المجتمع التهامي والسروي في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (١٣٤٠-١٣٧٣هـ).  
 (٢) ربما كانت هجرة البعض بسبب حروب وصراعات حدثت بينهم وبين أفراد من قبائلهم أو عشائرهم ونتج عن ذلك قتلى، أو تغلب بعضهم على بعض فاضطر الذين في وضع أضعف أن يهاجروا من بلادهم إلى بلاد أخرى، وربما تزوج بعض الأفراد من مناطق خارج أوطانهم الأصلية وأقاموا في بلاد زوجاتهم وأرحامهم.  
 (٣) هجرة بعض أفراد أو أسر السرويين والتهاميين من مكان إلى آخر منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى ثمانينيات القرن نفسه موضوع جديد لم يبحث ويدر بالدراسة والتوثيق.  
 (٤) عاصرت خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) من كان يذهب من سروات بلاد الحجر



٢. كان هناك من يخرج من بلاد السراة وتهامة إلى بلاد الحجاز ونجد من أجل البحث عن عمل يقتات منه، ويساعد أهله في موطنه الأصلي. وفي عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل أنشئت مديريات ووزارات جديدة في مدن الحجاز ثم نجد، وهذه المؤسسات بدأت توظف بعض الموظفين الذين يُسيرون العمل فيها. وكان معظم التهاميين والسرويين الذين يهاجرون من بلادهم بحثاً عن الوظيفة يدخلون في هذه الإدارات وبخاصة القطاعات العسكرية والأمنية<sup>(١)</sup>. وعندما أنشئت مؤسسات إدارية حديثة في مدن وحواضر السراة وتهامة عمل فيها البعض من أهل البلاد ومعهم موظفون أو جنود عسكريون جاءوا من خارج السراة وتهامة وصاروا يعملون جنبا إلى جنب في هذه الإدارات الحديثة<sup>(٢)</sup>.

٣. اطلعت على مئات الوثائق ونشرت بعضها في عدد من مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين عاما الماضية، وكثير منها تعكس مئات الأسماء من العساكر والجنود وبعض الموظفين الذين يعملون في القطاعات الإدارية العسكرية والمدنية في مناطق جازان، ونجران، وعسير، والطائف من عام (١٣٤٠- ١٣٧٢هـ/ ١٩٢١- ١٩٣٥م). والجميل في هذه المصادر أنها تذكر اسم الموظف أو الجندي، وموطنه الأصلي في المملكة العربية السعودية، وراتبه، ورتبته إذا كان عسكريا، وأحيانا اسم وظيفته إذا كان مدنيا، ونجدهم خليطا من أهل البلاد وممن جاء من مواضع أخرى في المملكة العربية السعودية<sup>(٣)</sup>.

٤. من خلال البحث في موضوعات تاريخية وحضارية حديثة في السراة وتهامة خلال عصر الملك عبدالعزيز آل سعود، وجمعي مصادر ووثائق جديدة في

إلى سهول تهامة، أو ببشة، ورنية، ومعظمهم كانوا يعملون في نقل البضائع والتجاراات بين السراة وتلك المواطن. وهناك بعض الكتب المطبوعة التي أشارت إلى شيء من ذلك، وما زال هناك وثائق محلية غير منشورة تحتوي على صفحات تاريخية حضارية من هذه الصلات الاقتصادية وبخاصة التجارية.

(١) قابلت الكثير من السرويين والتهاميين الذين عملوا في بعض المؤسسات العسكرية في مدن الحجاز وغيرها أثناء عصر الملك عبدالعزيز. بل بعضهم زودني بوثائق وأوراق تؤكد خدمتهم في تلك الإدارات خلال الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م). كما اطلعت على بعض المصادر والوثائق التي ذكرت أسماء بعضهم مع ذكر أسماء قبائلهم في آخر أسمائهم مثل ( القحطاني، والشهراني، والعسيري، والألمعي، والبارقي، والأحمري، والأسمري، والشهري، والعمرى، والقرني، والشمراني، والزهراني، والغامدي )، وألقاب أخرى كثيرة من بلاد الطائف، وببشة، والليث، والقنفذة، وجازان، ونجران وغيرها .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) جميع هذه المصادر وثائق رسمية صادرة من ماليات الجنوب، وقد نشرت بعضها في عدد من مؤلفاتي مثل:

(١) موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (٢٢) مجلدا. (٢) كتاب عبد الوهاب أبو ملحة. (٣) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٢- ١٤هـ/ ٢٠- ٢٠م). ( الطبعة الرابعة ).

هذا الميدان اتضح لي إرسال أعداد كثيرة من الجنود والقادة العسكريين، والدعاة وطلبة العلم، والقضاة ورجال الحسبة، وموظفين مدنيين عملوا في إدارات المالية، والإمارة، والشرطة، والمدرسة الحربية في أبها، والمدارس الأميرية في بيشة، وأبها، وبلاد غامد، وجازان، ومراقبي الأسواق، وجباة الزكاة، وغيرهم. وجميعهم من خارج حدود السروات وتهامة، وكثير منهم من حواضر الحجاز الرئيسية، ومن بلاد نجد، والقصيم. وقد عملوا في مدن وقرى وبلدات عديدة في تهامة والسراة، وخالطوا أهل البلاد وتعاونوا معهم في إدارة البلاد وحمايتها<sup>(١)</sup>. كما أن بعضهم أقاموا في بعض حواضر السراة، وصاروا من نسيج المجتمع المحلي. ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل إن بعض أفراد أهل البلاد الأصليين ذهبوا مع أفراد وجماعات من الوافدين من خارج بلادهم لإنجاز مهمات وأعمال عديدة داخل بلدان السروات وتهامة<sup>(٢)</sup>، وأحياناً يسافرون سوياً إلى نجد والحجاز، أو يذهبون في سفارات ووفادات رسمية إلى بعض القوى السياسية المعارضة في المملكة وخارجها مثل إمارة الأدارسة في جازان، أو الدولة الزيدية في اليمن<sup>(٣)</sup>. وبعض التهاميين أو السرييين عملوا في عهد الملك عبدالعزيز في نجد أو الحجاز، أو مع بعض أبنائه مثل الأمراء (سعود، وفيصل، ومحمد) وغيرهم أثناء إدارتهم الدولة مدنياً وعسكرياً<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا الرصد يغلب عليه العمومية، لكن ما ذكرته حقيقة، وهناك مصادر ومراجع ووثائق وثقت تفصيلات كثيرة في هذا الجانب. ومن يدرس نشأة أي مؤسسة إدارية حديثة في أبها، أو نجران، أو جازان، أو الباحة، أو القنفذة، أو الطائف يجدها قامت على أكتاف خيلط من موظفي الدولة السعودية الحديثة بعضهم محليون، وآخرون وافدون من مدن وبلدات عديدة في المملكة العربية السعودية. ومن يطالع كتاب: (أبها حاضرة عسير: دراسة وثائقية)، أو كتاب (عبدالوهاب أبو ملحمة)، أو كتاب: (تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤-١٣٨٦هـ) (الجزء الأول)، أو سلسلة كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٣ مجلداً) فإنه يجد الكثير من الوثائق والمعلومات الصحيحة التي تعكس صلات أهل السراة وتهامة مع غيرهم من السعوديين في عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (١٣٢٨-١٣٧٣هـ/١٩١٩-١٩٥٣م).

(٢) هناك أمثلة كثيرة تصب في خدمة هذه النقطة، وقد أشرت إلى بعضها في الكتب الأنف ذكرها في الحاشية السابقة. وهناك وثائق كثيرة غير منشورة تفيد في هذا الموضوع جداً أن تجمع وتدرس وتحلل.

(٣) انظر الدراسات والكتب والرسائل التي صدرت حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) عن الصلات السياسية والعسكرية وأيضاً الحضارية بين حكومة الملك عبدالعزيز آل سعود وإمارة الأدارسة في جازان، أو الدولة الزيدية في اليمن.

(٤) هناك أفراد كثيرون من الجنوب السعودي عملوا قريباً من الملك عبدالعزيز وأبنائه الأمراء ورجال دولته في نجد والحجاز وغيرها. وقد سمعت روايات عديدة من سرييين وتهاميين عملوا مع الملك ورجال دولته من عام (١٣٤٥-١٣٧٣هـ/١٩٢٦-١٩٥٣م). حبذا أن نرى باحثاً أو باحثين جادين يقومون بإجراء مقابلات مع هؤلاء الأعلام، ومن المؤكد أنهم سيجدون عندهم معلومات ومعارف تاريخية مهمة جديرة بالدراسة والتوثيق.

٥. القادمون من خارج السراة وتهامة لم يكونوا محصورين فقط في بلدان المملكة العربية السعودية، وإنما تنمية الدولة وتطويرها اقتضت جلب خبراء وأفراد ومثقفين ومتعلمين. وقطاع التعليم الحديث استدعى استقدام معلمين من داخل المملكة ومعظمهم كانوا من الحجاز، ومدرسين آخرين من دول عربية مثل: فلسطين، والأردن، وسوريا، ومصر، والسودان. والباحث في تاريخ مدارس التعليم العام في عسير، وجازان، والباحة، والقنفذة، ونجران خلال عصر الملك عبد العزيز يجدها تدار من قبل المدرسين الوافدين من الحجاز ونجد، ومن الدول العربية الأنف ذكرها<sup>(١)</sup>. والوضع نفسه في مؤسسات الدولة المدنية الأخرى، فأغلب المسؤولين والموظفين الكبار، وأحياناً الصغار، قدموا من الحجاز، وقليل منهم وفدوا من نجد، وكثير من الذين جاءوا من الحجاز من أصول عربية خارجية، لكنهم استوطنوا الحجاز منذ زمن، وصاروا من طبقات المجتمع الحجازي، وهم على قدر جيد من العلم والثقافة التي تمكنهم من إدارة الأمور في مؤسسات الدولة الحديثة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية<sup>(٢)</sup>.

٦. تشير بعض الكتب والوثائق، ويذكر بعض الرواة الذين قابلتهم في بدايات هذا القرن إلى وجود العناصر الأجنبية، غير العربية، في بعض المؤسسات الإدارية الحكومية، كالصحة في مدن السروات وتهامة، ومن تلك الأجناس أطباء هنود كانوا يعملون في بعض المراكز الصحية في أبها، وجازان، والطائف. وربما وجد عناصر أخرى من أصول غير عربية كانوا يقومون على خدمة القطاعات العسكرية مثل إصلاح بعض المعدات الحربية. وبقي في نواحي عديدة من تهامة والسراة أفراد وأسرى من عناصر تركية، بعضهم استمروا يعيشون في البلاد، وآخرون هاجروا بعد فترة من الزمن<sup>(٣)</sup>. كما جاء إلى البلاد بعض الأفراد من

(١) بقي التعليم العام محدوداً في السراة وتهامة في عهد الملك عبد العزيز لكنه بدأ من منتصف خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وقد نشرت عدداً من الدراسات عن التعليم في عسير وما حولها خلال تلك الفترة، وقابلت بعض رواد التعليم الذين عملوا في مدارس جنوب المملكة العربية السعودية من الخمسينيات حتى ثمانينيات القرن الهجري الماضي، وذكروا لي بعض التفاصيل عن سير العملية التعليمية في عصرهم.

(٢) أصدرت منذ عقدين بعض الدراسات التي تشير إلى أسماء وأصول بعض الموظفين في مؤسسات عسير الإدارية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن. ومن يدرس نشأة المؤسسات الحكومية المدنية في جازان، وعسير، وحواضر السراة وتهامة الأخرى خلال العقود الثلاثة الأولى من عصر الدولة السعودية الحديثة فإنه يجد أغلبهم من خارج أراضي السروات وتهامة، وربما وجد بينهم أفراد قليلون من خارج المملكة العربية السعودية.

(٣) هذا ما قرأت عنه في بعض الكتب والوثائق، أو سمعته من بعض الرواة الذين سجلت بعض مروياتهم مثل الأساتذة: محمد أحمد أنور، وعبدالمالك الطرابلسي، ويحيى بن مستور.

جنسيات أوروبية وأمريكية بتوجيه ومساعدة من الملك عبدالعزيز الذي دعمهم وسمح لهم بالسير في مناكب بلاده، وحظيت بلاد السراة وتهامة ببعض منهم أمثال: فليبي، وتوتيشل، وفليب لينز، وثسيجر الذين ساحوا في أراضي عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية، ودونوا رحلاتهم في أسفار عديدة، وحفظوا معلومات كثيرة من تاريخ هذه البلاد التي يصعب أن نجدها عند غيرهم. كما أشارت بعض الوثائق إلى خبراء ومهندسين غربيين قدموا إلى السراة وتهامة، وكتب بعضهم تقارير عن المهام التي كلفوا بها من قبل الدولة لكنني لم أعثر حتى الآن على شيء من تلك التقارير<sup>(١)</sup>.

٧. لم يكن أهل السراة وتهامة في عزلة عما يحدث في العالم العربي والإسلامي، وبخاصة أن بعض الدول العربية وقعت تحت الاحتلال الغربي، وفي مقدمتها فلسطين التي احتلت من قبل اليهود بمساعدة بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا. وفي عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) جرت حرب بين الإسرائيليين والعرب، وساهمت الدول العربية في نصرته إخوانهم الفلسطينيين، وكانت المملكة العربية السعودية من الدول العربية التي شاركت في تلك الحرب، ونجد أعداداً كثيرة من السرييين والتهاميين، ضمن جيوش السعودية، قد شاركوا في حرب فلسطين عام (١٣٦٧هـ)، واستشهد منهم عدد غير قليل<sup>(٢)</sup>. ولم يكن أهل تهامة والسراة في معزل عن المشاركة في حروب المملكة العربية السعودية مع الدولة الزيدية في اليمن في بداية الخمسينيات من القرن الهجري الماضي (ق١٤هـ/٢٠م)، وفي بعض المناوشات العسكرية مع بريطانيا وبعض دول الخليج العربي أثناء مرحلة توحيد البلاد<sup>(٣)</sup>.

## ٢- الفترة الثانية (١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م) :

جاء لحكم البلاد ( المملكة العربية السعودية ) ثلاثة ملوك بعد والدهم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وهم : (١) الملك سعود. (٢) الملك فيصل. (٣)

(١) أمل أن أعثر في المستقبل على شيء من تلك التقارير التي - بدون شك - تحتوي على معلومات تاريخية وحضارية قيمة عن السكان والبلاد التي زاروها في السروات أو تهامة. وبعض من أولئك الخبراء من فرنسا، وبريطانيا، وهولندا، وأمريكا. هذا ما وجدته في بعض وثائق مالية عسير خلال الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) للمزيد عن بعض السرييين والتهاميين الذين شاركوا واستشهد بعضهم في حرب فلسطين عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م). انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢٢ ( القسم الثالث ) .

(٣) مشاركة السرييين والتهاميين في تلك الأحداث كانت ضمن جيوش المملكة العربية السعودية التي تأتمر بأمر وزير الدفاع، وكانت أعدادهم كثيرة في عهد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

الملك خالد، خلال الفترة الممتدة من (١٣٧٢-١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م)<sup>(١)</sup>. وفي عصور هؤلاء الملوك الثلاث سارت البلاد نحو التطور والتقدم في مجالات كثيرة، وبخاصة بعد توحيد البلاد واستقرارها في عصر الملك عبد العزيز، ثم ظهور البترول في مواطن عديدة من شرق المملكة العربية السعودية، وتزايدت المؤسسات الإدارية العسكرية والمدنية وتطورها لخدمة الأرض والإنسان السعودي. وأولت الدولة اهتماماً كبيراً للتطوير والتنمية، ومنذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت خطط التنمية الخمسية تركز على تطوير جميع مناطق المملكة العربية السعودية، وحظيت بلدان السروات وتهامة، من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى جازان ونجران، بالكثير من الخدمات والمشاريع الحضارية التي تصب في خدمة الأرض والسكان، وهذا مما أثر على أهل هذه البلاد كي يساهموا في تطوير بلادهم الرئيسية، وينخرطوا في البناء والمشاركة في تطوير بلادهم الكبير (المملكة العربية السعودية)<sup>(٢)</sup>.

### (\*) وفي الصفحات التالية أذكر بعض الوقفات التاريخية الحضارية التي عاشتها البلاد السروية والتهامية خلال عصور الملوك السعوديين الثلاثة (سعود، وفيصل، وخالد)، مع الإشارة إلى توسع صلاتهم بغيرهم داخليا وخارجيا.

١. كانت الطرق البرية، وأيضاً الخطوط الجوية، وميناء جازان البحري من الميادين التي حظيت برعاية واهتمام كبيرين في عصور أولئك الملوك السعوديين الثلاثة. فبدأت الطرق البرية المسفلتة في عهدي الملكين سعود وفيصل ثم تطورت بشكل أفضل في عهد الملك خالد. وصار هناك دروب تسير من حواضر مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة، وبيشة، والقنفذة، والليث، والطائف إلى جميع مدن المملكة العربية السعودية في جهاتها الأربع<sup>(٣)</sup>. كما أنشئت مطارات محلية في أبها، وجازان، ونجران، والطائف، ثم تطورت، وأنشئت مطارات أخرى في بعض الأجزاء السروية، مثل مطاري بيشة، والباحة<sup>(٤)</sup>. وميناء جازان البحري قديم

(١) هناك العديد من الدراسات العربية وغير العربية التي وثقت صفحات كثيرة من تاريخ وإنجازات هؤلاء الملوك السعوديين الثلاثة. وما زال التاريخ الحضاري (الاجتماعي، والاقتصادي، والتعليمي، والفكري والتقني) في عهدهم يحتاج إلى دراسات أطول وأعمق.

(٢) هناك العديد من البحوث العلمية، وما زال هناك أيضاً وثائق وسجلات غير منشورة تعكس الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة السعودية الحديثة في نشر الأمن والاستقرار في عموم البلاد، ثم العمل الدؤوب على تطوير الإنسان والأرض في أنحاء البلاد، وفي شتى المجالات.

(٣) تاريخ الطرق البرية في جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٣٧٢-١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م) موضوع لم يدرس إطلاقاً ويستحق أن يكون عنواناً لأكثر من بحث ورسالة علمية.

(٤) جميع المطارات، وتاريخ الخدمات الجوية في عموم السروات وتهامة لم يدرس - حسب علمي - حتى الآن. أمل أن نرى مؤرخين جادين يدرسون نشأة ثم تطور هذه المطارات منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي مواضيع جديرة بالتوثيق والرعاية البحثية.

في تاريخه، وقد حظي بالكثير من التطوير والرعاية في عهد الملوك السعوديين ابتداءً بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ثم أبناؤه من بعده<sup>(١)</sup>.

٢. أنشئت العديد من المشاريع العملاقة في عدد من الحواضر الكبيرة في جنوب المملكة العربية السعودية. وأهمها وأكبرها مدينة الملك فيصل العسكرية في حاضرة خميس مشيط. وهذه المدينة مسؤولة عن القطاعات العسكرية في عسير، وجازان، ونجران<sup>(٢)</sup>. وهناك قطاعات عسكرية أخرى في شمال السروات، في مدينة الطائف تحديداً، وهي إدارات مستقلة عن القطاعات العسكرية في المناطق الجنوبية، وجميعها تعود إدارتها ومسؤوليتها إلى وزارة الدفاع في الرياض<sup>(٣)</sup>. كما تزايدت وتطورت الإدارات العسكرية الأمنية التابعة لوزارة الداخلية مثل: إدارات ومراكز الشرطة، والدفاع المدني، والمرور، والمباحث والاستخبارات الأمنية وغيرها<sup>(٤)</sup>. أما الإدارات المدنية مثل: المحاكم الشرعية، والبلديات، وإدارات الطرق، والمالية، والشؤون الاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزراعة، والبنوك الخدمائية الحكومية أو التجارية وغيرها من المؤسسات الرسمية والأهلية المدنية فقد بدأ بعضها من عهد الملك عبد العزيز<sup>(٥)</sup>. وكثير منها أنشئت في عصور أبناؤه الملوك السعوديين الثلاثة (سعود، وفيصل، وخالد)<sup>(٦)</sup>.

٣. التعليم العام مجال كبير وواسع، حظي باهتمام كبير من حكومة المملكة العربية السعودية. وبدأت بعض المدارس الأميرية الابتدائية والمتوسطة من عهد الملك

(١) زرت ميناء جازان في العقد الثالث من هذا القرن (١٥/هـ-٢١م) ووجدته يؤدي خدمات كبيرة تجارية وحضارية، وحاولت الحصول على بعض الوثائق والسجلات التي تذكر شيئاً من تاريخه وتطوره في العهد السعودي الحديث، فأخبرني بعض المسؤولين في إدارة الميناء، عدم قدرتهم على تلبية طلبي، وقالوا قد نقلت جميع أوراق الميناء ووثائقه إلى الهيئة العامة للموانئ بمدينة الرياض. وتاريخ هذا الميناء موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية جامعية.

(٢) أنشئت المدينة العسكرية في عهد الملك فيصل عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، وفي عصره أيضاً أصبح أمير عسير من الأسرة الحاكمة، وهو الأمير خالد الفيصل الذي عين أميراً في منطقة عسير عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م).

(٣) تاريخ المدينة العسكرية في عسير، والقطاعات العسكرية الأخرى (البرية، والجوية، والبحرية) في بلدان السروات وتهامة موضوعات جديدة، جديرة أن يصدر عنها عدد من الكتب والبحوث العلمية الموثقة.

(٤) هذه الإدارات بدأ بعضها في المدن الكبرى في بلاد السراة وتهامة منذ عصر الملك عبد العزيز، ثم تزايدت وتوسعت في عصور الملوك الذين جاءوا من بعده. ولم يأت عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، إلا وأصبحت فروعها في أنحاء البلاد التهامية والسروية.

(٥) مثل إدارات المالية، والبلديات، والمحاكم الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، تأسس بعضها من الأربعينيات والأخرى من الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). وكل هذه الإدارات تستحق أن تدرس في كتب ورسائل علمية مستقلة.

(٦) تاريخ التطور الإداري في جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والطائف، وبيشة، والقنفذة خلال عهد ملوك آل سعود (سعود، وفيصل، وخالد) موضوعات مهمة تستحق أن تدرس في عدد من الرسائل والكتب العلمية.

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل<sup>(١)</sup>. ومنذ عام (١٣٧٣هـ/١٩٧٣م) تولى الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود وزارة المعارف فاجتهد بشكل كبير على تطوير التعليم العام في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، ولم ينته عصر الملك فيصل بن عبد العزيز عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) إلا والتعليم العام للبنين قد وصل جميع مدن وقرى السروات وتهامة الكبيرة. أما تعليم البنات فلم يبدأ ويصل إلى هذه البلاد إلا في بداية الثمانينيات، في عصر الملك سعود، ثم صار نحو التطور وانتشر في أنحاء البلاد في عصري الملكين فيصل وخالده<sup>(٢)</sup>. وكان يتولى الإشراف على مدارس التعليم العام (بنين وبنات) إدارات تعليم رئيسية في بعض حواضر جنوب المملكة العربية السعودية. فإدارات التعليم في أبها، وبيشة، والباحة، ونجران، والطائف، وجازان، وصبيا. ومؤخرا في النماص، ومحایل عسير تدار من قبل وزارة المعارف وتشرف على تعليم البنين في هذه البلدان. أما تعليم البنات العام فيتبع إداريا وماليا إلى الرئاسة العامة لتعليم البنات، وإدارة تعليم البنات في عسير كانت تشرف على تعليم البنات في مناطق عسير، وجازان، ونجران، وتدرجيا استقلت هذه المناطق بإدارات مستقلة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). أما مناطق الباحة، والطائف، والقنفذة، والليث فكانت تعود إدارة مدارسها للبنات إلى إدارات تعليم البنات في المنطقة الغربية، وتحديدًا إدارة تعليم مكة<sup>(٣)</sup>.

٤. أما التعليم العالي فلم يصل إلى بلدان السراة وتهامة إلا في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠)، وأول مؤسسات للتعليم العالي في الجنوب السعودي بدأت في مدينة أبها، عندما أنشئت كليتا الشريعة واللغة العربية، والتربية في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، والكلية الأولى فرع يتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، والكلية الأخرى فرع من جامعة الملك سعود. وهاتان الكليتان أدتا رسالتهما بشكل كبير، ولم يقتصر عملهما على حاضرة أبها

(١) أصدرت بعض الدراسات عن بدايات التعليم العام في جنوبي المملكة العربية السعودية وبخاصة منطقة عسير. وهذا الموضوع في مناطق جازان، والباحة، ونجران، والطائف مازال غير مدروس ويستحق أن يصدر عنه كتب وبحوث عديدة.

(٢) تاريخ التعليم للبنات والبنين في مناطق جنوبي المملكة العربية السعودية يستحق أن يوثق ويدرس في عدد من الرسائل والبحوث العلمية.

(٣) لخصت وضع التعليم العام (بنين وبنات) في بلاد السراة وتهامة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠)، وهذه المحاور المدونة باختصار شديد تستحق أن تدرس في بحوث وكتب علمية، وهذه مسؤولية الجامعات والكليات والأقسام المحلية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة وما جاورها.

وسرواتها، وإنما امتدت آثارها إلى مناطق الباحة والقنفذة في الشمال، وجازان ونجران في الجنوب. تلا ذلك انفصال كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية عن كلية الشريعة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وأنشئت كلية الطب في أبعها، وبدأت الدراسة فيها عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)<sup>(١)</sup>. كما افتتحت رئاسة تعليم البنات كلية التربية للبنات عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)<sup>(٢)</sup>.

٥. بدأت الحياة الاقتصادية وبخاصة التجارية والصناعية تتطور في السروات وتهامة منذ عصر الملك فيصل بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup>. فظهرت بعض الدكاكين والأسواق اليومية في مدن عسير، وجازان، ونجران، والطائف، والقنفذة، إلى جانب الأسواق الأسبوعية المنتشرة في كل مكان وتاريخ بعضها يعود إلى الوراء عشرات السنين، واستمرت تؤدي رسالتها بشكل جيد خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدايات هذا القرن<sup>(٤)</sup>.

٦. يعد عصر الملك خالد (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م) مرحلة حضارية تطويرية فاصلة، ففي تلك الفترة ظهر ما يعرف باسم (عصر الطفرة)، فقد فاضت الأموال على كثير من الناس، ثم جرى التوسع والتطوير للكثير من البنى التحتية مثل: بناء المطارات، وشق الطرق البرية، وازدهار الحياة العمرانية وبخاصة المساكن الخاصة في المدن والأرياف والقرى، وتشبيد الكثير من المقرات الإدارية الحكومية وارتفاع الدخل الفردي، وزيادة رواتب موظفي الدولة، مدنيين وعسكريين، ونشاطات تنموية وتطويرية كثيرة في أنحاء المملكة

(١) لمزيد من التفصيلات عن بدايات التعليم العالي في بلاد السراة وتهامة وبخاصة في مدينة أبعها بمنطقة عسير، انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج ١٨، ص ٩٧-١٥١.

(٢) حتى عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) كانت مؤسسات التعليم العالي في السراة وتهامة محدودة جداً، وأولها بدأت في مدينة أبعها.

(٣) بدأت التجارة والصناعات تسير نحو التطور وإلى جانبها الزراعة التي كانت عمادة حياة الناس في معظم بلاد السراة وتهامة، ومع بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) أصبحت الزراعة تتراجع لاشتغال الناس بمهن وأعمال غيرها مثل الوظائف الحكومية العسكرية والمدنية وبعض التجارات والصناعات الأخرى.

(٤) كانت التجارات والصناعات التقليدية قليلة ومحدودة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعد ظهور البترول وزيادة استخراجة في السبعينيات والثمانينيات من القرن نفسه، وتطور طرق المواصلات البرية والجوية والبحرية خلال العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، بقيت الأسواق الأسبوعية تمارس نشاطاتها، كما كانت في السابق، وظهرت أسواق يومية كثيرة، ومحلات تجارية مهنية وصناعية تعمل طوال النهار، ومدن أبعها، وخميس مشيط، وبيشة، والطائف، والقنفذة، وجازان، وصببا من أكثر البلدات التي ظهرت فيها هذه الأسواق الحديثة، ثم بدأت تتوسع منذ الثمانينيات حتى انتشرت في مواطن كثيرة بالسراة وتهامة مع مطلع القرن (١٥هـ/٢٠م).



العربية السعودية. وقد عاصرت هذه الفترة حيث كنت طالباً في كلية التربية بأبها، قسم التاريخ من عام (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/١٩٧٦-١٩٨٠م)، وأثناء تلك السنوات تجولت في كثير من بلدان السراة وتهامة، من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة، وشاهدت الكثير من الطرق البرية، بما تحتوي عليه من أنفاق وكباري، وهي تشيد في أنحاء البلاد، كما لاحظت ما جرى على بعض المدن الرئيسية مثل: أبها، وخميس مشيط، والطائف وغيرها من توسعات في طرقها ومرافقها الداخلية، وإزالة بعض الأحياء والمنازل التي كانت تعترض تلك التطويرات العمرانية الحضارية، وهذا جعل كثير من ملاك البيوت الخاصة يحصلون على معاوضات مالية تقدر بملايين الريالات. ومن يطالع الأسواق الرئيسية في وسط هذه المدن وبخاصة مدينتي أبها وخميس مشيط يجد أن تاريخ عمارتها ونقل ملكيات أراضيها من أصحابها حدث في الفترة المعنية في هذه الورقات، وبخاصة في عصر الملك خالد بن عبدالعزيز (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م)<sup>(١)</sup>.

### (\* إن رسدي لصفحات من التطور التاريخي والحضاري الذي عرفته

**بلاد السراة وتهامة خلال ثلاثة عقود من القرن (١٤هـ/٢٠م) (١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م)، يقودني إلى ذكر أمثلة من صلات أهل السراة وتهامة بغيرهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وهذا ما سوف أدونه في النقاط الآتية :**

١. إن الاستقرار والأمن والتعليم والتطور الإداري والاجتماعي جعل السريين والتهاميين يدخلون في بناء مجتمعاتهم وبلادهم. فقد كانوا في السابق يعيشون في نطاق ضيق بين قبائلهم وقراهم وبواديهم، وعندما وجدت البلاد، وصارت تحت سلطة مركزية تنظم حياة الأفراد والمجتمعات، ثم تأسيس مؤسسات عسكرية ومدنية في طول البلاد وعرضها، لم يكن على أهل البلاد إلا الالتحاق بالعمل الحكومي في هذه الإدارات سواء في مقراتهم وأوطانهم الرئيسية في عموم السراة وتهامة، أو في مدن وحواضر أخرى كبيرة وعديدة في أنحاء المملكة العربية السعودية. بل إن بعض الأفراد من التهاميين والسريين تطور بهم

(١) التاريخ الحضاري في عموم بلاد السراة وتهامة في عصر الطفرة، عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م). موضوع كبير وغني بمعلوماته وأحداثه وتطوراته الحضارية، ويستحق أن يدرس في كتب وبحوث عديدة. أرجو من جامعات الجنوب السعودي، من خلال أقسامها ومراكز أبحاثها العلمية، أن تهتم بخدمة هذا الجانب توثيقياً وبحثياً.

الأمر فحصلوا على بعض البعثات التعليمية والتطويرية الداخلية والخارجية وبخاصة في بعض الدول العربية، وبخاصة جمهورية مصر العربية<sup>(١)</sup>.

٢. من يسعى إلى الحصول على إحصائيات عن انخراط السرييين والتهاميين في قطاعات الدولة العسكرية والمدنية، أو الأعمال الرسمية والأهلية ليس في بلادهم الأصلية بل في عموم مدن وحواضر ووزارات وإدارات ومؤسسة المملكة العربية السعودية فإنه سوف يطلع على أعداد كثيرة، وأولهم التحقوا بالخدمة في قطاعات الدولة منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنهم تكاثروا وصاروا جماعات كثيرة وكبيرة منذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، ولم يأت بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا وأصبحوا يقدرون بعشرات وربما مئات الآلاف. وقد زرت بعض مدن المملكة العربية السعودية مثل: جدة، ومكة، والطائف، والرياض، وبعض مدن المنطقة الشرقية. كما التقيت في الوقت نفسه ببعض من ذهب إلى منطقة تبوك وما جاورها منذ نهاية القرن الهجري الماضي، وجميع هذه البلدان يوجد فيها أعداد كثيرة جداً ذهبوا إليها منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وعملوا في قطاعات ومؤسسات حكومية عديدة، ثم تقاعدوا وبقوا في تلك المدن، بل بعض أبنائهم وإخوانهم سبقوهم إلى هذه البلاد، وعاشوا فيها حتى ماتوا.

٣. الجامعات ومؤسسات التعليم العالي خارج بلدان السروات وتهامية من المجالات الكبيرة التي استقطبت الكثير من أبناء وبنات مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. وذلك لعدة أسباب، ومنها: (١) الكثافة السكانية الكبيرة في بلاد تهامة والسراة، وأعداد الطلاب الذين تخرجوا في الثانويات من عام (١٣٧٣-١٤٠٢هـ) فأعدادهم كبيرة، وكانوا يرغبون في مواصلة تعليمهم العالي، ولا يجدون في بلادهم جامعات تحتضنهم، عندئذ يضطرون للالتحاق بالكليات العسكرية أو الجامعات المدنية في المناطق الغربية، والوسطى، والشرقية<sup>(٢)</sup>.

(١) اطلعت على بعض سجلات وزارة المعارف وإدارة تعليم البنين في أبها فوجدت ابتعثت بعض أبناء منطقة عسير، وربما مناطق أخرى، إلى بعض الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في مصر لدراسة بعض العلوم الإنسانية والعلمية. ودراسة طلائع المبتعثين من السراة وتهامة منذ بداية السبعينيات في القرن الهجري الماضي موضوع جديد في باب يستحق أن يدرس في بحث علمي رصين .

(٢) حبذا أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس تاريخ السروات وتهامة الذين التحقوا بالجامعات والكليات العسكرية في مدن المملكة العربية السعودية الكبير من عام (١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م).

(٢) أبناء وبنات التهامين والسرويين الذين خرجوا من بلادهم خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستقروا في مدن المملكة العربية السعودية الكبيرة مثل: مكة المكرمة، وجدة، والرياض، والظهران، والدمام، والخبر، ورأس تنورة، والأحساء وغيرها. كانت فرصهم أفضل وأكبر في الالتحاق بالجامعات السعودية في تلك المدن<sup>(١)</sup>، وبعضهم فضلوا الالتحاق بالكليات العسكرية<sup>(٢)</sup>.

٤. بدأ الابتعاث منذ التسعينيات، في عصر الطفرة ( عهد الملك خالد بن عبد العزيز )، إلى خارج المملكة العربية السعودية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الدول الأوروبية مثل بريطانيا. وكوني واحداً من أهل السروات الذين فازوا ببعثة في تلك الفترة، فقد ذهبت إلى أمريكا عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) وتجولت في أكثر من (٤٠) ولاية أمريكية، وشاهدت الطلاب السعوديين هناك يقدرون بالآلاف، وفيهم نسبة غير قليلة من بلدان السروات وتهامة، كما زرت بريطانيا ورأيت أيضاً أعداداً، لكنهم أقل من المبتعثين إلى أمريكا، كما زرت وزارة التعليم العالي، وبعض الجامعات السعودية في الفترة من عام (١٣٩٨-١٤٠٤هـ/١٩٧٨-١٩٨٤م) وعرفت الكثير من الأسماء والأشخاص الذين ابتعثوا من هذه المؤسسات التعليمية العالية، وكان بينهم نسبة لا بأس بها من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. كما أن القطاعات والكليات العسكرية، وبعض المؤسسات والوزارات الأخرى كانت تبعث بعض طلابها، أو موظفيها إلى بعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من العلوم والمعارف والحصول على شهادات عالية في مجالات وتخصصات عديدة<sup>(٣)</sup>.

(١) كانت الجامعات السعودية الحكومية قليلة ومحدودة، فلا توجد إلا في المناطق الشرقية، والوسطى، والغربية، ومن تلك الجامعات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وهما في الرياض. وجامعة البترول، وعرفت فيما بعد باسم (جامعة الملك فهد) في الظهران. وجامعة الملك عبد العزيز في جدة.

(٢) كانت الكليات العسكرية في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) في الرياض، مثل كليتي الشرطة والحربية.

(٣) بدأ الابتعاث إلى دول أجنبية، وبأعداد كبيرة منذ التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأذكر عندما حصلت على الثانوية العامة بتقدير عال عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) أنني ذهبت إلى عدد من الوزارات في الرياض وحصلت من أغلبها على قبول للابتعاث والدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. وأثناء ترددي على تلك الوزارات كنت أشاهد أعداداً كثيرة من الطلاب الذين يتقدمون لهذه الوزارات، وحصل الكثير منهم على بعثة إلى البلاد الغربية، وجميعهم كانوا متخرجين من المرحلة الثانوية.

٥. في ظل ذلك التطور الحضاري والتموي الذي عاشته المملكة (١٣٧٣- ١٤٠٢هـ/١٩٥٣-١٩٨٢م) شارك الكثير من التهاميين والسريوين في الحراك التجاري والاقتصادي داخل بلادهم وخارجها، فعملوا في أعمال تجارية حرة، ولم يأت عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلا وترى منهم تجاراً ورجال أعمال كباراً يعملون في تجارات عديدة في مدن المملكة مثل : جدة، والرياض، وخميس مشيط، وحواضر المنطقة الشرقية. كما ذهب منهم بعض الأفراد الذين التحقوا ببعض الشركات الصناعية مثل شركة أرامكو التي دخلها وتدرج في وظائفها أعداد ليست قليلة من مناطق الباحة، وعسير، ونجران، وجازان<sup>(١)</sup>.

٦. إذا بحثنا في مؤسسات الحكومة السعودية الخارجية في دول عربية وإسلامية وأجنبية مثل السفارات، والقنصليات، والملاحق التعليمية والعسكرية فإننا نجد العديد من السريوين والتهاميين الذين رشحوا للعمل في تلك الإدارات، ومعظمهم كانوا يصطحبون أسرهم، وأولادهم الذين التحقوا بالمدارس والجامعات في البلدان التي ذهبوا إليها. وأثناء ذهابي إلى أمريكا عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) زرت السفارة السعودية في واشنطن، والملحق التعليمي في مدينة هيوستن بولاية تكساس، وقابلت بعض الموظفين السعوديين في تلك الإدارات، وهم أساساً من بلاد عسير، وغامد وزهران، وجازان، والطائف وغيرها<sup>(٢)</sup>.

٧. نتيجة لاستقرار البلاد السعودية واتصال سكانها سياسياً وحضارياً بالكثير من شعوب الكرة الأرضية، مهما كانت ظروف تلك الصلات ( وظيفية، أو تعليم ودراسة، أو تجارة، أو سياحة وترفيه، أو دبلوماسية، وغيرها ) فقد نتج عن ذلك الكثير من التقارب والاندماج. وسمعت عن أفراد كثيرين من جنوب المملكة العربية السعودية ذهبوا إلى بلدان عربية وأجنبية، شرقية وغربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم تزوجوا وأنجبوا من نساء البلدان التي ذهبوا إليها، وعند عودتهم إلى بلادهم ( المملكة العربية

(١) هذا ما عرفته وعاصرته في بدايات هذا القرن فقد رأيت الكثير من تجار قحطان، وبلاد غامد وغيرهم يمتلكون تجارات متنوعة في مدن الرياض، والدمام، وجدة، وخميس مشيط. كما أنني أعرف أشخاصاً بالعشرات من أهل تهامة والسراة التحقوا بشركة أرامكو منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) واستمروا في أعمالهم إلى بدايات هذا القرن، وخلفهم بعض أبنائهم يعملون في الشركة نفسها حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

(٢) خلال أسفاري إلى بلدان عربية وأجنبية خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وجدت وسمعت عن موظفين كثيرين عملوا في سفارات السعودية وملحقياتها العسكرية الموجودة في تلك البلدان، وبعضهم خدموا فيها منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهم من سكان مناطق جنوبي المملكة العربية السعودية.

السعودية) أحضروا أسرهم معهم<sup>(١)</sup>. والبعض من الطلاب الذين ذهبوا للدراسة في بعض الدول العربية في تسعينيات القرن الهجري الماضي، فضلوا الإقامة في تلك البلدان، وتزوجوا من نساءها، وحصلوا على جنسيات البلدان التي أقاموا فيها<sup>(٢)</sup>.

### **(\*)- إذا نظرنا في وضع الوافدين إلى بلدان السروات وتهامة منذ سبعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن وجدنا شرائح عديدة منهم، ونرصد في الصفحات الآتية بعضاً منهم .**

١. إن التنمية العمرانية التي عاشتها البلاد في العقود الأخيرة من القرن (١٤/هـ/٢٠م) وبخاصة في عصر الطفرة الأولى (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م) استوجبت استقدام جنسيات عديدة للعمل في هذا العمل الميداني الحضاري. وكوني معاصراً لتلك الفترة فقد شاهدت الكثير من الشركات الكورية والصينية والفلبينية، وبعض الشركات الأوربية والأمريكية التي شيدت مشاريع عديدة في البلاد مثل بناء المطارات، والمدن والمقرات العسكرية، والطرق والجسور والعقبات التي تربط بين أجزاء السروات، أو بلاد تهامة والسراة، وبعض السدود المائية وغيرها<sup>(٣)</sup>. كما قامت عمارة المدن والقرى والحواضر في عموم السروات وتهامة

(١) عرفت خلال الأربعين عاماً الماضية أكثر من شخص وربما يصل عددهم من (١٠-١٥) فرداً ذهبوا إلى بعض الدول العربية وأخرى أجنبية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤/هـ/٢٠م) وتزوجوا نساء من تلك البلدان وصار لهم أبناء وبنات.

(٢) أثناء تجوالي في بلدان السروات وتهامة منذ مطلع هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) سمعت وعرفت أفراداً من هذه البلاد، كانوا ضمن الذين سافروا إلى بعض الدول الأوربية، أو الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، أو بعض الدول الشرقية مثل: الهند، والباكستان، وإندونيسيا وغيرها منذ ثمانينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥/هـ/٢٠م)، ثم أقاموا فيها ولم يعودوا. وهناك من سافر إلى بعض الدول العربية والإسلامية في قارتي آسيا وإفريقيا وعاشوا فيها ولم يرجعوا إلى أوطانهم.

(٣) عاصرت تشييد مدينة الملك فيصل العسكرية في عسير، ومطار سد أبها، وسد بيشة، وسد نجران ومطاراتها، والطرق البرية الممتدة من نجران وجازان إلى عسير، والباحة، والطائف ومكة وجدة. والعقبات والأنفاق والكباري المصاحبة لتلك الطرق، ومن أهمها عقبتا ضلع، وشعار في عسير، وعقبة الباحة، وجميعها تربط السروات بتهامة. وجميع العناصر البشرية التي نفذت هذه المشاريع شركات عالمية وافدة من خارج البلاد، معظمها من شرق آسيا وعلى وجه الخصوص من كوريا والصين والفلبين. وشركات أمريكية وأخرى أوربية. وقد ذكرت فقط أمثلة من تلك المشاريع التنموية التي أنجزت في بلدان تهامة والسراة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤/هـ/٢٠م)، ولم يشمل الحديث كل المشاريع العمرانية التي بدأت وانتهى بعضها في تلك الفترة، وهذا موضوع كبير يستوجب دراسته وتوثيقه. ومن يكف على خدمته بحثياً فسوف يخرج العديد من الدراسات العلمية الجديدة في أبوابها، وهي جديرة بالاهتمام العلمي البحثي، وهذه مسؤولية الأساتذة الجامعيين والأقسام العلمية في جامعات المملكة العربية السعودية الجنوبية (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، وبيشة).

على أكتاف حرفيين وعمال مستقدمين من خارج البلاد ابتداءً من ثمانينيات القرن الهجري الماضي، وازدادت أعدادهم في التسعينيات من القرن نفسه، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ومن يتوقف مع التاريخ العمراني في مدن جازان، ونجران، وأبها، وخميس مشيط، والنماص، وبيشة، والباحة، والنفذة، والطائف وغيرها من البلدات والقرى في طول البلاد وعرضها يلحظ أنه سادها موجات من التطور العمراني الذي شمل المنازل الخاصة ومرافقها، والأبنية الحكومية، والتجارية، والصناعية، والاجتماعية، والزراعية وغيرها. وجل من أشرف ونفذ هذه المشاريع العمرانية عناصر غير سعودية، وأغلبهم من دول عربية وإسلامية، وربما شاركهم بعض العناصر الغربية والشرقية. ومن الدول العربية والإسلامية التي كان لها عمالة في مجال العمارة والتشييد، اليمن، وبلدان الشام، ومصر، وتركيا، والسودان. وبعض دول شمال إفريقيا كالجزائر والمغرب وغيرها<sup>(١)</sup>.

٢. الفاحص للإدارات الحكومية طول وعرض السروات وتهامة منذ عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) يجدها مليئة بالموظفين الوافدين. وأكثرهم في مجال التعليم العام والعالي فقد كان جل المعلمين والمعلمات في التعليم العام، وأعضاء هيئة التدريس في فرعي جامعتي الإمام والمملك سعود في أبها، وكلية التربية للبنات في أبها من دول عربية عديدة وفي مقدمتهم فلسطين، والأردن، وسوريا، ومصر، والسودان، وتونس، والجزائر. كما كان هناك بعض المعلمين وأساتذة الجامعة من دول أوروبية والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢)</sup>. كما أن معظم

(١) كان العمران الخاص والحكومي متواضعاً في سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ثم بدأ يتطور في التسعينيات، وفي عهد الملك خالد ابن عبد العزيز (١٣٩٥-١٤٠٢هـ)، بدأت الدولة تقدم قروصاً سخية لتطوير الزراعة والحياة العمرانية، ومن ثم بدأ العمران الحديث ينتشر في بلدان كثيرة من تهامة والسراة، وظهر الكثير من المؤسسات الخاصة التي تعمل في مجال العمارة والتشييد، وتستقدم الحرفيين والعمال من بلدان عديدة للعمل في ميدان العمران. وقد عاصرت الكثير من الأبنية والمخططات والأحياء العمرانية التي ظهرت في بلاد عسير والباحة، والطائف، منذ عام (١٣٩٣-١٤٠٥هـ/١٩٧٣-١٩٨٥م)، وكان جل العاملين فيها من بلدان عربية وإسلامية عديدة، ثم تطور العمران وزادت أعداد العمال والحرفيين خلال العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) هذا ما عرفته وعاصرته منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، فقد بدأت تعليمي المبكر في محافظة النماص، ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية، ثم التربية في أبها، وتخرجت في الأخيرة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وشاهدت قطاعات التعليم في عموم السروات وتهامة وزرت العديد من المدن والمدارس في مناطق الطائف، والنفذة، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران، ورأيت معظم المعلمات والمعلمين وأساتذة الجامعة غير سعوديين. وكان هناك أفراد قلائل سعوديون يتولون إدارة المدارس أحياناً، أو عمادات الكليات المحلية.

المؤسسات الإدارية الأخرى مثل القطاعات الصحية ممثلة في المستشفيات والمراكز الطبية، والبلديات، والإمارات، وإدارات الزراعة، والطرق والمواصلات، والمطارات، وبعض القطاعات الأمنية والعسكرية وغيرها كانت هي الأخرى مليئة بموظفين وموظفات من دول عربية وأحياناً أجنبية<sup>(١)</sup>.

٢. القطاعات الخاصة ( التجارية، والحرف الصناعية، والزراعة، والصيد، والرعي، ونشاطات أخرى اجتماعية، وسياحية، واقتصادية ) جميعها احتوت على الكثير من العناصر البشرية الوافدة، وقد كانت أعدادهم متواضعة وقليلة جداً في السبعينيات والثمانينيات من القرن (١٤/٢٠م)، وربما كان اليمينيون أكثر العناصر العاملة في هذه القطاعات خلال تلك الفترة، ومع بداية التسعينيات حتى نهاية العقد الأول من القرن (١٥/٢٠م) دخل البلاد الكثير من الوافدين العرب وغير العرب. واذكر أنني تجولت في أجزاء عديدة من مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والطائف من عام (١٣٩٥ - ١٤١٠هـ / ١٩٧٥ - ١٩٩٠م)<sup>(٢)</sup>. وشاهدت أجناساً عربية، وإفريقية، وآسيوية من دول الهند، والباكستان، وبنجلاديش، والفلبين، وكوريا الجنوبية، والصين، وإندونيسيا وغيرها<sup>(٣)</sup>.

(١) أذكر أنني زرت بعضاً من هذه المؤسسات في تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥/٢٠م)، ومن الأمكنة التي زرتها المدينة العسكرية والمطار العسكري في خميس مشيط، وبعض المستشفيات المدنية والعسكرية في مناطق عسير، ونجران، وجازان، والطائف، وإمارة منطقة عسير وشرطتها في أبها، وإدارتي الطرق البلدية في مدينة أبها وكانت جميعها تحتوي على موظفين غير سعوديين، ومعظمهم من جمهوريات مصر العربية وبلاد الشام، كما يوجد في بعض المستشفيات والمطارات المدنية والعسكرية في عسير موظفين غربيين من أوروبا وأمريكا، ومن الباكستان، والفلبين وغيرهم. لقد ذكرت فقط أمثلة مما عرفته وعاصرته خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤/٢٠م)، والعقد الأول من هذا القرن (١٥/٢٠م)، والتنمية السعودية في العصر الحديث، وبخاصة دراسة الأيدي العاملة الوافدة من خارج البلاد، وما قدموا من خدمات إيجابية، وما نتج عنهم من سلبيات على الأرض والناس موضوع جديد في باب، يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية الرصينة.

(٢) الذي ساعدني في تلك الجولات أنني كنت أمتلك سيارة تاكسي من عام (١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ / ١٩٧٥ - ١٩٨٢م)، وأذهب بها في نقل الركاب المسافرين في عموم السروات وتهامة، وهذا مما مكنتني من مشاهدة الكثير من الحراك الاجتماعي الذي كانت تعيشه البلاد آنذاك.

(٣) أشير في نقطة سابقة إلى امتلاء الكثير من القطاعات الحكومية بعناصر عربية وأجنبية كانوا يعملون جنباً إلى جنب مع السعوديين، بل كان الكثير منهم هم العمود الفقري الذي يسير العمل في بعض تلك الإدارات والمؤسسات الرسمية. أما في القطاعات الخاصة مثل التجارات والصناعات وغيرها فكانوا هم الذين يتولون العمل والإشراف في جميع القطاعات الخاصة، والسعودي أو السعوديون قليلون جداً في تلك الأعمال، وما زالت القطاعات الخاصة في جنوب المملكة العربية السعودية حتى الآن (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) في أيدي العمالة الوافدة. ومن يذهب إلى جميع الأسواق التجارية الصغيرة والكبيرة، وإلى المدن الصناعية في أنحاء البلاد، وإلى كثير من الأعمال والتجارات الأخرى يجد الوافدين، من العرب وغير العرب، هم الذين يتولون تسيير جميع الأعمال بنسبة عالية جداً.

في نهاية هذا المحور الذي وثق صفحات من تاريخ التهامين والسريين خلال ثلاثة عقود (١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٣٥٣-١٩٨٢م)، اتضح لنا الكثير من التطور والانفتاح الذي جرى على بلاد السراة وتهامة، فقد توسعت رقعة صلاتهم وأسفارهم، ووصلوا إلى أجزاء كثيرة في أصقاع الكرة الأرضية، وبالتالي أثروا وتأثروا في إقامتهم خارج بلادهم، ثم عادوا إلى أوطانهم وهم يحملون الكثير من الثقافات والمعارف التي اكتسبوها أثناء أسفارهم، أو أعمالهم المختلفة التي مارسوها في البلاد التي سافروا إليها وعاشوا مع أهلها<sup>(١)</sup>.

أما قدوم الوافدين العرب وغير العرب إلى بلاد المملكة العربية السعودية، أو إلى بلدان السروات وتهامة، فذلك موضوع كبير يستحق الدراسة والرعاية البحثية وبخاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد أشرت في صفحات سابقة إلى لمحات من تلك العناصر الوافدة إلى جنوب المملكة العربية السعودية خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وما من شك أنهم أثروا وتأثروا من التهامين السريين، وخرجوا بالكثير من التجارب والخبرات التي نقلوها إلى بلادهم، كما نقلوا الكثير من معارفهم وثقافتهم إلى أهل البلاد الأصليين<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الفترة الثالثة (١٤٠٢-١٤٤٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢١م) :

تولى حكم البلاد السعودية خلال هذه العقود الأربعة، ثلاثة ملوك هم : (١) الملك فهد (١٤٠٢-١٤٢٦هـ/١٩٨٢-٢٠٠٥م). (٢) الملك عبد الله (١٤٢٦-١٤٣٦هـ/٢٠٠٥-٢٠١٥م). (٣) الملك سلمان (١٤٣٦- حتى الآن ١٤٤٢هـ/٢٠١٥-٢٠٢١م). وتولى إمارات مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال الفترة نفسها عدد من أمراء آل سعود، مثل: خالد الفيصل، وفيصل بن خالد، وتركي بن طلال في منطقة عسير. ومحمد بن ناصر آل سعود في منطقة جازان. والأمراء محمد، ومشاري، وحسام أبناء الملك سعود في منطقة الباحة. والأمراء مشعل بن سعود بن عبد العزيز، ومشعل بن عبد الله بن عبد العزيز وجلوي بن عبد العزيز بن مساعد آل سعود في منطقة نجران<sup>(٣)</sup>. أما الأمراء ثم المحافظين الذين تولوا مناطق وبلدان عديدة في بلاد السراة

(١) موضوع خروج التهامين والسريين، أو السعوديين بشكل عام، إلى بلدان العالم العربي والإسلامي والأجنبي خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع لم يدرس وهو جدير بالدراسة والاهتمام، حبذا أن ترعاه جامعاتنا المحلية من خلال مراكزها البحثية فيدرس ويوثق في عدد من الكتب العلمية.

(٢) حبذا أن تقوم الجامعات السعودية المحلية في بلاد السراة وتهامة بدراسة هذه الصلات والتأثير والتأثر، وما نتج عن ذلك من إيجابيات وسلبيات على الوافدين أو أهل البلاد المحليين .

(٣) جميع هؤلاء الأمراء تولوا إمارات مناطق الجنوب خلال الفترة الممتدة من (١٤٠٢-١٤٤٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢١م). ما عدا إمارة منطقة نجران فكان فهد بن خالد السديري أميراً لبلاد نجران من عام (١٣٩٩-٢٠٢١م).



وتهامه فهم كثيرون من عام (١٤٠٢-١٤٤٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢١م)، ويصعب حصرهم في هذه الصفحات المحدودة<sup>(١)</sup>.

بذلت حكومة المملكة العربية السعودية جهوداً جبارة خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٢-١٤٤٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢١م) وبخاصة في تنمية الأرض وتطوير الإنسان، وبلدان السروات وتهامه ( الطائف، والباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والقنفذة، والليث ) حظيت بالكثير من الاهتمام في عمران الطرق البرية، والمطارات، والمدن، والقرى، والأسواق، ومؤسسات الدولة الرسمية والأهلية، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والكليات الفنية والتقنية، والمدن الصناعية والاقتصادية والطبية، والحدائق والمتنزهات، والموانئ البحرية، والسدود الزراعية، والمخططات العمرانية والسياحية والاقتصادية المختلفة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

والدولة تقدمت وتطورت في علاقاتها السياسية والحضارية مع دول العالم، ولن أخوض في الجانب السياسي والدبلوماسي الذي أنجزته المملكة العربية السعودية خلال العقود الأربعة الماضية، فذلك مدونا في بعض الكتب والرسائل العلمية، كما أن هناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمة هذا الموضوع<sup>(٣)</sup>. لكن هناك صلات

١٤١٦هـ/١٩٧٩-١٩٩٥م)، ثم جاء بعده الأمير مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود، وهؤلاء الأمراء الأنف ذكرهم أعلاه يستحقون أن تصدر عنهم دراسات علمية موثقة، مع التركيز على جهودهم الحضارية التي بذلوا لخدمة التهاميين والسرويين.

(١) جرى العديد من التطورات على إدارة البلاد السعودية منذ توحيد المملكة في منتصف القرن (١٤/٢٠م) حتى الآن عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). ففي البداية كانت البلاد مقسمة إلى (٩) إمارات، وجنوب المملكة العربية السعودية (عسير، وجازان، ونجران) واحدة من تلك الإمارات. وفي بداية الثمانينيات من القرن الهجري الماضي أطلق اسم ( نظام المقاطعات ) وكانت أيضاً (٩) مقاطعات منها: مقاطعة الحجاز ويمتد نفوذها الإداري جنوباً إلى بلاد القنفذة، والليث، والباحة. ومقاطعات تهامة وتشمل: جازان، وعسير (تهامة وسراة)، ونجران. وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) أصبح هناك (١٤) إمارة، منها: إمارة منطقة مكة المكرمة، وإمارات مناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ثم عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ظهر اسم ( المناطق ) المعروفة حالياً: ومنها: (١) منطقة مكة المكرمة ويمتد نفوذها الإداري جنوباً إلى الطائف وبلاد القنفذة وما حولها. (٢) مناطق الباحة، وعسير، ونجران، وجازان. ويتولى كل منطقة أمير من آل سعود، ويتبعه محافظين في كل ناحية من البلاد التي يدير شؤونها، ويتبع كل محافظة مراكز يتولى إدارتها رؤساء. وأقول إن التاريخ الإداري الذي مرت به بلدان السروات وتهامة (من الطائف وجنوب مدينة مكة إلى جازان ونجران) موضوع مهم يستحق أن يدرس ويوثق خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/١٩٢١-٢٠٢١م). وهناك مصادر ووثائق متوفرة في أراشيف إمارات المناطق الجنوبية السعودية، وفي وزارة الداخلية، وفي مركز الوثائق والمعلومات بالرياض.

(٢) إن هذه المحاور العامة التي رصدتها في المتن أعلاه مشاريع كبيرة وعملاقة. وكل عنصر يستحق أن يوثق في مئات الصفحات. وكوني أعيش في هذه البلاد منذ سبعينيات القرن (١٤/٢٠م)، وأشاهد الحراك التتموي في البلاد. ففي الثلاثين عاماً الأخيرة (١٤١٢-١٤٤٢هـ/١٩٩٢-٢٠٢١م) قفزت مؤشرات التنمية في جنوب المملكة العربية السعودية حتى أصبحنا نرى الكثير من المجالات المتطورة في شتى الميادين ( الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والفكرية، والتعليمية، والصحية، والسياحية وغيرها ) .

(٣) صلات المملكة العربية السعودية مع غيرها من دول العالم سياسياً ودبلوماسياً موضوع مهم وكبير يستحق أن يدرس ويوثق في بحوث وكتب ورسائل عديدة.

تموية، وإنسانية، ودعوية، وخيرية، فاغلب دول العالم العربي والإسلامي، والأجنبي لا تخلو من مراكز إسلامية، ومساجد، ومستشفيات، ومدارس لخدمة المسلمين في تلك البلدان، وللمملكة العربية السعودية النصيب الأوفر في المساهمة والرعاية وأحياناً الإشراف على تلك المجالات<sup>(١)</sup>.

### **(\*) أشير في الفقرات التالية إلى صور من الصلات الحضارية لأهل السراة وتهامة مع غيرهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٢-١٤٤٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢١م)، وهي على النحو الآتي:**

١. أشرت في صفحات سابقة من هذا القسم إلى لمحات من صلات أهل السراة وتهامة ببعضهم البعض في بلادهم، أو بغيرهم داخل المملكة العربية السعودية. وأكد هنا على أن تلك العلاقات تطورت وزادت نسبها تاريخياً وحضارياً. ففي عموم أراضي تهامة والسراة ترى الناس صاروا شعباً ولحمة واحدة يمارسون حياتهم في مدنهم وقراهم وحواضرهم، وفي جميع أعمالهم العامة والخاصة، ولا يجدون أي صعوبة في التمتع بجميع حقوقهم، والتعامل مع باقي طبقات وشرائح المجتمع<sup>(٢)</sup>. كما أن أهل البلاد أنفسهم شريحة ضمن الإطار العام لسكان المملكة العربية السعودية، فهم يذهبون (صغاراً وكباراً، أفراداً وجماعات، ذكوراً وإناثاً، موظفين، ومتقاعدين) إلى أي مكان أرادوا في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، ومن يتجول في عموم بلدان السعودية يجدهم منتشرين في كل مكان (عسكريين، ومدنيين، عاملين ومقيمين، أفراداً وأسراً وجماعات). فهم في أوطانهم الرئيسية، أو غيرها من ديار السعودية مواطنون يحملون الهوية الوطنية، والجنسية السعودية<sup>(٣)</sup>.

(١) من يطلع على دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين في العالم (١٤٠٢-١٤٤٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٢١م)، فإنه يجد الكثير من الوثائق والسجلات في رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأمانة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، وفي الجامعات العربية والإسلامية وبعض الأجنبية، ولدى بعض مراكز البحوث العلمية في العالم العربي والإسلامي والغربي بالإضافة إلى ما صدر عن هذا المجال من كتب وبحوث ورسائل علمية.

(٢) إن تاريخ حياة الناس العامة والخاصة في بلاد السراة وتهامة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٢-١٤٤٢هـ/١٩٧٢-٢٠٢١م) مجال خصب لكثير من الدراسات العلمية، أرجو من مراكز الجامعات المحلية أن تدرس هذا الميدان دراسة علمية توثيقية.

(٣) لو توقفت عند كل مدينة أو ناحية من بلاد السعودية لوجدت سكان السراة وتهامة، من الطوائف وجنوب مكة إلى جازان ونجران، موجودين بأعداد كثيرة، وهم يتفاوتون من مدينة لأخرى، لكن أعدادهم الكثيرة (أفراد وجماعات) في حواضر المنطقة الوسطى، والشرقية، والغربية. ومنهم أعداد كبيرة في المنطقة الشمالية وبخاصة بلاد تبوك وفي القطاعات المدنية، والعسكرية (البرية، والجوية، والأمنية). ومن يفحص

٢. إن التطور الحضاري والتنمية التي سادت البلاد السعودية في شتى المجالات الاقتصادية، والثقافية والفكرية والتعليمية، والاجتماعية، والإدارية، والسياحية، والصحية، والمدنية، والعسكرية جعلت بلاد السروات وتهامة مقصداً لكثير من سكان المملكة العربية السعودية منذ مطلع هذا القرن (١٥/٢٠-٢١م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، فإنه يجد جميع المؤسسات الحكومية والأهلية، والمدن والحوضر والقرى، والقطاعات الاقتصادية المختلفة، والجامعات، والمستشفيات والمدن العسكرية والمدنية وغيرها مليئة بأجناس سعودية، وعربية، وإسلامية، وأجنبية، وجميعهم يعملون جنبا إلى جنب لكسب أرزاقهم، والعيش مع بعضهم البعض في أمن وطمأنينة<sup>(١)</sup>.

٣. جاءت الطفرة المادية الثانية في عصر الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (١٤٢٦-١٤٣٦هـ / ٢٠٠٥-٢٠١٥م)، وقد تشابهت إلى حد ما مع الطفرة الأولى التي ظهرت في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م)<sup>(٢)</sup>. لكن أثارها الإيجابية على الإنسان والبلاد السعودية كانت أكبر وأوسع وأشمل، فقد ارتفع دخل الفرد عند جميع أفراد وطبقات المجتمع، ونشطت وتطورت جميع القطاعات الاقتصادية والتنمية، وتم استقدام الكثير من الأفراد والخبراء والشركات العربية والإسلامية والأجنبية للعمل في كثير من ميادين التنمية والتطوير<sup>(٣)</sup>. لم تقتصر آثار الطفرة الثانية على الأوضاع

مراكزهم الاجتماعية والوظيفية في الدولة يجد أنهم يشغلون جميع الأعمال والمناصب من الجندي والموظف الصغير إلى أعلى المراتب في الوزارات، والجامعات، ومؤسسات الدولة الأخرى (المدنية والعسكرية).

(١) تنقلت في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والباحة. ومدن الطائف، والليث، والقنفذة، وتربة، ورنبة وشاهدت حركة المجتمعات في هذه البلدان خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٠-١٤٤٢هـ/٢٠٠٠-٢٠٢١م). بل تجولت في أسواق هذه البلاد، وجامعاتها، ومستشفياتها، ومؤسساتها الرسمية والأهلية. ودخلت في بعض قراها وأحيائها الحضرية فرأيت عشرات الجنسيات البشرية الذين يعملون في الكثير من القطاعات الحضارية والتنمية. بل وجدت بعض الصلات النسبية من خلال التزاوج بين أفراد سعوديين (ذكورا وإناثا) من مدن عديدة في المملكة العربية السعودية مع أسر وقبائل وعشائر من المنطقة الجنوبية السعودية. وهناك من أهل البلاد، وبخاصة رجالهم وأحياناً نساءهم الذين تزوجوا أو تزوجوا من خارج حدود المملكة العربية السعودية، وأحياناً يكون هذا الزواج أو التزويج ليس مقصورا على الدول العربية، وإنما تعدى ذلك إلى جنسيات وبلدان إسلامية وأجنبية.

(٢) إنهما طفرتان ماديتان حدثتا في عصر الدولة السعودية الحديثة، ولهما الكثير من الإيجابيات والحسنات في الارتقاء بمستوى البلاد في شتى المجالات. لكنها لا تخلو أيضاً من بعض السلبيات على سلوكيات وحياة الأفراد والأسر السعودية. وقد لمست وعاصرت شيئاً من تلك السلبيات في الطفرتين على السريوين والتهاميين. ومثل هذا الموضوع ميدان جيد وواسع فيكون مجالاً لعدد من البحوث العلمية. أرجو من الجامعات السعودية أن تدرس تاريخ إيجابيات وسلبيات تلك الطفرتين على الأراضي والمواطنين السعوديين، وعلى المقيمين أيضاً.

(٣) زرت العديد من مناطق ومدن المملكة في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز (١٤٢٦-١٤٣٦هـ/٢٠٠٥-٢٠١٥م)، ورأيت الكثير من المشاريع العملاقة التي قامت في عموم البلاد، ومن أهمها وأكبرها. (١) مد شبكة الطرق

الداخلية فقط، وإنما امتدت آثارها الإيجابية إلى خارج البلاد، وأهم شريحة استفادت إيجابياً في الداخل والخارج<sup>(١)</sup>، هم فئة الشباب (ذكوراً وإناثاً) من خلال برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث، فقد فتح المجال لابتعاث عشرات الآلاف من الطالبات والطلاب لمواصلة دراساتهم في دول عديدة من العالم العربي، والإسلامي، والأجنبي<sup>(٢)</sup>. وكوني أعيش وأشاهد وأتجول في عموم بلاد السروات وتهامة منذ عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، فإنني سمعت، ورأيت، وقرأت عن آلاف من الطالبات والطلاب الذين تم ابتعاثهم ضمن برنامج خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز، لدراسة مراحل جامعية مختلفة من درجة البكالوريوس إلى درجة الدكتوراه، والسماح للكثير من البنات والنساء للابتعاث جعلت أولياء أمورهن من الآباء، أو الأزواج، أو الإخوان وغيرهم. يقومون بمرافقة نسائهم المبتعثات، بل إن بعض الأسر التهامية والسروية انتقلت بجمع أفرادها مع بنتها أو بناتها اللاتي ذهبن في بعثة دراسية. وقد زرت بعض الدول الغربية مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا. ودول أخرى شرقية مثل: ماليزيا، والهند، وسنغافورة، وكوريا الجنوبية وغيرها<sup>(٣)</sup>، فوجدت فيها آلاف المبتعثات والمبتعثين السعوديين وفيهم أعداد غير قليلة من بلدان جنوب المملكة العربية السعودية<sup>(٤)</sup>. وفي السبع سنوات الأخيرة (١٤٣٥-

البرية الجيدة والكثيرة في كل مكان. (٢) بناء وتطوير عدد من المطارات، والمدن الصناعية، والاقتصادية، والطبية. (٣) دعم التعليم والثقافة وأنشئت الكثير من مقراتها في جميع أجزاء البلاد، ومن أكثرها انتشار الجامعات التي قفز عددها من سبع جامعات حكومية إلى حوالي (٣٠) جامعة، ناهيك عن الجامعات الأهلية فقد زادت وتضاعف عددها. وإن نظرنا إلى الوظائف المستحدثة فقد كانت بالآلاف، إلى جانب زيادة رواتب الموظفين (مدنيين وعسكريين)، وجوانب كثيرة يصعب حصرها في هذه السطور، وأقول إن تاريخ الطفرة الثانية (١٤٢٦-١٤٣٦هـ) موضوع مهم وخصب فيصدر عنه عشرات الكتب والبحوث العلمية.

(١) إن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة سكانها داخلياً، وعموم المسلمين في العالم من الموضوعات التي درست في عدد من الكتب والبحوث العلمية منذ عصر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، والموضوع نفسه مازال يحتاج إلى دراسات علمية نوعية موثقة، وفي كل مكان، وفي شتى المجالات.

(٢) إن قضية ابتعاث السعوديين للدراسة والتطوير العلمي والمعرف بدأت منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنها زادت وارتفعت إلى أعلى المستويات في عصر الطفرتين التي عاشتها المملكة العربية السعودية في عصري الملكين (خالد وعبد الله ابني الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن).

(٣) كما زرت بعض الدول العربية والإسلامية مثل: الأردن، وتركيا، ومصر، والباكستان، وإندونيسيا فوجدت فيها طالبات وطلاباً مبتعثين، وبعضهم من بلاد السروات وتهامة.

(٤) رأيت في بريطانيا، وأمريكا، وماليزيا، وكوريا الجنوبية بعض الأسر التهامية والسروية التي تصل أعدادهم إلى سبعة وثمانية أفراد، وجميعهم ذهبوا مرافقين مع بناتهم المبتعثات، وكانت أيضاً فرصة جيدة لبعض

١٤٤٢هـ/٢٠١٦م - ٢٠٢١م) زرت جامعات الطائف، والباحة، وبيشة، والملك خالد، وجازان، ونجران فوجدت من عضواتها وأعضاء هيئة تدريسيها أعداداً جيدة تخرجوا من بلدان عربية وأجنبية، وجميعهم حصلوا على درجاتهم العليا برعاية ودعم من برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث<sup>(١)</sup>.

٤. ومن آثار التطور وتحسن الأحوال المادية عند التهاميين والسرويين خلال الثلاثين سنة الماضية (١٤١٠-١٤٤٢هـ/١٩٩٠-٢٠٢١م)، بدأت ظاهر السفر إلى خارج البلاد، وليس السفر بحجة العمل أو الدراسة، وإنما السياحة والاستمتاع. وقد شاهدت الكثير من الأفراد الذين يقضون إجازاتهم الصيفية في بلدان عربية وأجنبية. وكانوا قلة خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لكن نسبتهم ارتفعت بشكل كبير منذ بداية عصر الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، وصار هناك أسر كاملة تسافر إلى دول عديدة في شرق الكرة الأرضية أو غربها، وأحياناً هناك أفراد (ذكوراً) ومؤخراً نساء يسافرن أكثر من مرة خلال العام، والبعض منهم امتلكوا عقارات ممثلة في بيوت أو شقق في البلد الذي يرتادونه باستمرار، وكثير منهم شروا منازل في جمهورية مصر العربية، أو تركيا، أو بريطانيا، أو أمريكا، أو ماليزيا، أو إندونيسيا، وبلدان أخرى عربية، أو إسلامية، أو أجنبية<sup>(٢)</sup>. وكوني معاصراً

بنات وأبناء تلك الأسر فيدرسون التعليم العام في تلك البلدان التي ذهبوا إليها، ثم يلتحقون بالجامعات هناك ويطالبون الحكومة السعودية بدفع رسوم الجامعات التي التحقوا بها، وغالباً تجاوب الدولة وتلحقهم ببرنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث، وأعرف الكثير ممن حصل على هذه الفرص والمنح، وجميعهم من بلاد السراة وتهامة.

(١) أشرت فقط في السطور المدونة أعلاه إلى لمحة من جهود برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الذي بدأ واستمر في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز، وما زال حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، لكن ليس بدرجة القوة والأعداد الكثيرة التي كانت في عصر الملك عبد الله. أما الابتعاث الذي ترعاه الدولة بشكل عام، فهو موجود منذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، والوزارات، والإدارات، ومؤسسات الدولة وجامعاتها المختلفة مستمرة في ابتعاث موظفيها وموظفيها والمعيدات والمعيدتين، والمحاضرات والمحاضرين إلى جميع دول العالم المتطورة والمتقدمة. ومن ينظر في جميع قطاعات الدولة الخاصة والعامية في أنحاء بلاد تهامة والسراة، وفي مقدمتها الجامعات فإنه يجد آلاف الأساتذة والموظفات والموظفين الذين درسوا في جامعات خارجية بعضها عربية، وأخرى أجنبية. كما اطلعت على وثائق وتقارير وسجلات في جامعات الملك خالد، وجازان، والطائف، ونجران، وبيشة، والباحة فوجدت الابتعاث بدأ في هذه المؤسسات منذ بداية التعليم العالي في عسير عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم تزايدت أعداد المبتعثات والمبتعثين إلى عدد من دول العالم الغربي والشرقي حتى وصلت أعدادهم بالآلاف. ومن يقوم بدراسة إحصائية لعضوات وأعضاء هيئة التدريس في هذه الجامعات في وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) يجد معظمهم تخرجوا في جامعات أجنبية، وقليل منهم تخرجوا في جامعات عربية وإسلامية.

(٢) إن السرويين والتهاميين يسافرون داخل بلادهم وخارجها منذ عصور ما قبل الإسلام، لكنهم في السابق حتى عصر الدولة السعودية الحديثة كانوا يسافرون في أعداد قليلة ومحدودة من أجل الحج أو العمرة،

لحياة الناس في جنوب المملكة العربية السعودية، فقد شاهدت وسمعت أفراداً وأسرًا يعيشون في ضائقة مالية، وبعضهم لا يمتلكون منازل خاصة بهم، لكنهم لا يتورعون عن الحصول على بعض القروض البنكية، أو من بعض الإخوان والأصدقاء من أجل السفر إلى خارج البلاد وبخاصة في الإجازات الصيفية. وشريحة النساء هم من يدفع بأولياء الأمور إلى السفر، مهما بلغت الظروف. والنساء وأحياناً الرجال يؤثرون على بعضهم البعض، فأحياناً تجد ميسوري الحال يسافرون وعند عودتهم (نساء ورجالاً) يلتقون بصاحبتهم وأصحابهم ويذكرون لهم ما عرفوه وشاهدوه، وقد يحضرون معهم بعض الصور الفوتوغرافية، وفي النهاية يوصون كل من يتحدثون معه بالسفر، وهنا تظهر مشكلة الرغبة والإلحاح عند شرائح المجتمع التي تشاهد وتسمع ما ينقله هؤلاء المسافرون، أو من يحثون الآخرين على السفر، والعنصر النسائي أكثر من يصر ويلح على السفر إلى خارج البلاد<sup>(١)</sup>. كما ظهر بعض العادات الجديدة. فعندما يتزوج الشباب، وأحياناً الرجل الكبير، يكون من خطته السفر إلى بلد أو بلدان عديدة في العالم، لقضاء الشهر الأول من زواجه في ذلك المكان أو الأمكنة التي سافر إليها. ومن أحواله المادية جيدة، أقول لا تثريب عليه، لكن المحزن أحياناً أن الرجل المتزوج يكون مفلساً، وزواجه منذ البداية حتى العقد على زوجته يكون بالقروض التي أثقلت كاهله، ثم يذهب فيحصل على قروض أخرى من أجل السفر، ربما ليس رغبة في السفر، لكن مطالب الزوجة،

أو كسب الزرق والعيش بكرامة. وفي القرون الهجرية الماضية سافر بعضهم إلى بلدان عديدة في شبه الجزيرة العربية، أو إلى بلدان عربية وإسلامية شرق الكرة الأرضية أو غربها، وهدفهم جميعاً تحسين أوضاعهم المادية. أما السفر المتأخر لأهل البلاد خلال الثلاثة عقود الماضية، فقد اختلف تماماً عن سفر الأبياء والأجداد، وذلك بسبب وفرة المال والخير في أيدي هذه الأجيال المتأخرة، وبالتالي فهم يسافرون إلى كل مكان للاستجمام، وقضاء أوقات للنزهة والراحة، وبعضهم، وبخاصة الرجال، يذهبون للإقامة المؤقتة والزواج من نساء البلدان التي يذهبون إليها، وربما بعضهم لا يتزوجون، وإنما يستمتعون بحياتهم وأوقاتهم بطرقهم الخاصة. وأقول إن تاريخ السفر عند السعوديين بشكل عام، وأهل السراة وتهامة بشكل خاص خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٤٢-١٤٤٠هـ/ ١٩٨٠-٢٠٢١م) موضوع جديد في بابه، فتدرس أسباب السفر للأفراد (ذكوراً وإناثاً)، أو الأسر والجماعات، ونتائج السفر داخلياً وخارجياً على حياة الفرد والجماعة، وأيضاً المؤثرات والظروف التي رفعت نسبة السفر عند عموم السعوديين أو التهاميين والسرييين.

(١) إن سهولة السفر اليوم، لما يعيше الناس من رفاهية، ومواصلات برية وبحرية وجوية مريحة، وأيضاً وسائل التواصل الحديثة وما يصدر عنها من آثار سلبية وإيجابية، كل هذا خلف مشاكل اجتماعية كثيرة حتى أصبحنا نسمع قصصاً غريبة ومرعبة مثل هروب الزوجة، أو البنات من بيت أهلها، ثم سفرها إلى مواطن عديدة داخل البلاد وخارجها، وبعضهن لا يتورعن أن يباهين بتلك الأعمال والسلوكيات، فينتشرن أخبارهن على وسائل التواصل المختلفة. ويذكرن ما وجدنه من متعة وراحة، ويشجعن غيرهن على الانفلات والتمرد على السلوك والأخلاقيات التي عاشها الأبياء والأجداد، وينادي بها دين الإسلام.

وضغوط المجتمع وبخاصة النساء، اللاتي ينادين ويجبرن الرجال على تحقيق السفر للمتزوجين<sup>(١)</sup>.

٥. تسير المملكة العربية السعودية منذ بضع سنوات نحو تحقيق رؤية (٢٠٣٠)، التي تعمل على تنمية وتطوير قطاعات الدولة، مع الحرص على الجودة والإتقان، والارتقاء بالأرض والإنسان حتى تكون البلاد السعودية في مصاف البلاد المتقدمة علمياً وتقنياً وسياسياً وإدارياً. والملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهد الأمير محمد بن سلمان يبذلان قصارى جهودهما على توفير حياة اقتصادية متعددة الموارد بدلاً من النفط الذي مازال المورد الرئيسي للبلاد. وكون هذا القسم يختص بصيالات السروات وتهامة مع غيرهم، فقد شاهدت في طول البلاد وعرضها تجاوباً مع هذه الرؤية، فلا تخلو مؤسسة إدارية رسمية من العمل بشكل جاد في تحقيق ما يخدم أهداف الرؤية، والتقيت ببعض أمراء المنطقة الجنوبية فوجدتهم يشرفون على مشاريع وخطط تنمية متعددة الجوانب، يعمل فيها كوادر بشرية سعودية. وعربية وعالمية، كما أن جامعات السروات وتهامة تبذل ما في وسعها من خلال رؤسائها، وأساتذتها، وكلياتها، وأقسامها على تطوير برامجها من خلال اللقاءات، والندوات، والمؤتمرات المحلية، والإقليمية، والعالمية. وهناك الكثير من اتفاقيات التعاون متعددة الأغراض التي وقعت بين جامعاتنا وبعض الجامعات العربية والعالمية<sup>(٢)</sup>.

٦. جائحة كورونا، أثرت على بلاد العالم، وفرضت جميع الدول قيوداً على حركة سكانها، خوفاً من الانتقال السريع لفيروس كورونا. وشاهدت الكثير من الأجناس العربية وغير العربية الذين يعملون في بلدان السروات وتهامة، وأغلبهم رغبوا في السفر إلى بلادهم، لكنهم لم يجدوا وسيلة إلى ذلك، لأن جميع المواصلات البرية والجوية والبحرية الخارجية مغلقة، ومنذ شهر يناير عام (٢٠٢١م) بدأت تفتح تدريجياً، وبدأ بعضهم يسافرون. ومن سافر إلى

(١) هذا ما عرفته وعاصرته وسمعته وأيضاً حصل مع العديد من قريباتي وأقاربي، وعندما تناقشهم في الآثار السلبية لهذه الأعمال، وما يترتب عليها من قروض وضائقة مالية، يقولون، الناس كلهم يفعلون ذلك، ولن نكون أقول من الآخرين.

(٢) اطلعت على مئات الوثائق التي تعكس بعض الندوات، والمؤتمرات التي عقدت في رحاب بعض جامعاتنا المحلية خلال العشرين عاماً الماضية. وأيضاً بعض اتفاقيات التعاون الاستراتيجية، والتقنية، والعلمية والمعرفية التي وقعت مع جامعات الملك خالد، وجازان، والطائف، ونجران، وتاريخ الندوات والمؤتمرات واتفاقيات التعاون في جامعات الجنوب السعودي (١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م) موضوعات مهمة تستحق الدراسة والتوثيق في بحوث عديدة.

بلاده قبل بداية كورونا حاولوا أيضاً الرجوع إلى أعمالهم، فلم يستطيعوا بسبب الجائحة والإغلاق في بلادهم. وبدأوا حالياً يعودون بنسب قليلة جداً، وتقول الحكومة السعودية أن فتح المواصلات مع العالم الخارجي، سوف تزيد بشكل كبير من نهاية شهر يونية وبداية يوليو عام (٢٠٢١م) <sup>(١)</sup>.

### سادساً: خلاصة آراء وتعليقات :

احتوى هذا القسم على الكثير من النقاط العامة التي تعكس صوراً من تاريخ وصلات السرويين والتهاميين مع غيرهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. ولا أدعي في عملي هذا الكمال، لكنه لا يخلو من قضايا، وأفكار، ورؤى، واقتراحات جديدة تفيد بعض المؤرخين والباحثين في تراث وحضارة هذه البلدان العربية القديمة في تاريخها، والعريقة في أرضها وإنسانها <sup>(٢)</sup>.

### (\*) أسرد في السطور الآتية بعض الموضوعات والعناوين المقترحة التي

ربما تفيد بعض المؤرخين والباحثين في قادم الأيام، وهي على النحو الآتي :

١. إسهامات السرويين والتهاميين الحضارية الإيجابية داخل شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر.
٢. تاريخ أهل السراة وتهامة ( السياسي، والإداري، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي والعلمي والمعرفي) في بلدان العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى القرن (١٠هـ/١٦م).
٣. حبذا أن تصدر دراسة علمية تدون سير السرويين والتهاميين داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .
٤. تاريخ بلاد السراة وتهامة من القرن (١٠-١٢هـ/١٦-١٨م)، مع التركيز على جهودهم الحضارية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وتدوين سير أعلامهم في المجالات السياسية والحضارية.
٥. إن أهل السراة وتهامة لهم تاريخ سياسي وحضاري خلال العصر الحديث

(١) أدون هذه السطور في شهر مارس عام (٢٠٢١م)، وقد تخف جائحة كورونا، وتتعافى البلاد، ويعود الناس إلى حياتهم العادية، وربما تستمر المشكلة، ويستمر الحجر الكلي أو الجزئي.

(٢) نعم إن بلاد السراة وتهامة من أقدم الأوطان، فهي تعود إلى العصور الحجرية، واستمرت عبر أطوار التاريخ حتى وقتنا الحاضر، وهي تستحق منا معاشر الباحثين الاجتهاد في حفظ تراثها وموروثها الحضاري المادي والمعنوي .



(١٢٠٠-١٣٤٠هـ)، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في بحوث وكتب عديدة، مع الحرص على أن تكون دراسات نوعية وعلمية توثيقية •

٦. تاريخ السريين والتهاميين خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/١٩٢١-٢٠٢١م)، داخليا وخارجيا مجال كبير جداً، وحتى الآن لم يخدم بالطريقة العلمية الجيدة. والمؤرخون المعاصرون عليهم مسؤولية كبيرة في التصدي لهذا الميدان ودراسته دراسة علمية رصينة وموثقة •